
وحدة العادات والتقاليد
بين مصر والشام
تأليف
محمد قنديل البقلي

اهداءات ٢٠٠١

لواء طبيب / عبد الحميد سلطان

الإسكندرية

وحدة العادات والتقاليد
بين مصر والشام

تأليف

محمد قنديل البقلي

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقاً)

دار الجيل للطباعة
٤ شارع قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون : ٩٦٢٩٦١٤

هذا الكتاب

بقلم الأستاذ الدكتور حسين مؤنس
أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة القاهرة
ومدير المعهد الثقافى بمدريد

السيد محمد قنديل البقلى رجل طموح

إنه يقرأ فى نهم لا يعرفه إلا من صاحبه ورآه ، يقضى الأيام المتوالية فى المكتبات العامة يقرأ ويبحث ، ويخرج منها متأبطاً ثروة من الكتب يقضى بها الليل . . .

طموح كريم ، جدير بأن يشجع . . .

وله إلى جانب ذلك ولع بالعادات والتقاليد الشعبية ، وكل ما يتصل بما نسميه اليوم بالفولكلور . .

ولا أذكر أن هناك مثلا جاريا على الألسن ، أو موالا يتغنى به فى بلادنا إلا ومحمد قنديل البقلى يحفظه .

وقد حفزه بعض أصحابه على أن يودع محفوظه الواسع هذا بعض المؤلفات ، فكتب فى موضوع الفولكلور كثيراً ، وقرأت له فيه كتابه المعروف : « صور من أدبنا الشعبى أو الفولكلور المصرى » .

وفى الكتاب الذى أقدمه له وسّع السيد البقلى آخر بحثه ، فجعله يشمل مصـــر والشام ، وما كنت أعرف أن له هـذا الإلمام الواسع بالأمثال الشعبية والمأثورات الغنائية فى بلاد الشام . .

وسيرى القارىء فى هذا الكتاب كيف استطاع أن يبوب محفوظه الواسع أبوابا ويجمع المتقارب من الأمثال والأغانى والعادات والتقاليد، ويستخرج من ذلك نتيجة هامة هى موضوع هذا الكتاب، وهى، وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام . .

ولا شك أن الموضوع طريف وهام ، وهو بطبيعة الحال ينطوى على حقيقة أساسية نؤمن بها جميعاً ، وهى وحدة الشعوب العربية . .

فالشعب العربى فى مصر هو الشعب العربى فى الشام وفى المغرب وبقية نواحى هذا العالم العربى الواسع . .

وقد اطلعت على مجموعات من الأمثال الشعبية فى تونس وفى مراكش ، وكنت أشعر أن معظمها مرادف لما يقوله أهل بلدى ، بل أنك تجد نفس المثل يردد فى مصر وتونس وفاس ومكناس . وآخر كتاب قرأته فى هذا الموضوع كتاب صديقنا الأستاذ عبد الهادى الغازى عن « أعراس فاس » وهو يصف فيه تقاليـــد الزواج والأعراس فى هذا البلد العربى المغربى الكبير، ويذيله بطائفة من الأمثال المغربية حول موضوع الزواج، ومعظمها يقابل أمثالا مصرية فى نفس المناسبات .

وقد بيّن السيد البقلي فى كتابه تشابه الأمثال والأغانى الشعبية فى مصر والشام ، وجمع فى كتابه حشداً عظيما من هذه وتلك ، وبوّبها تبويباً لطيفاً يدل على منهج طيب ، وحب صحيح للأدب الشعبي وفهم له .

ولا شك أن الباحثين فى شئون المجتمع العربى سيجدون فى ذلك الكتاب فوائد كثيرة ودلائل ناطقة على ما نؤمن به جميعاً من وحدة الشعوب العربية ، وتشابه الأحوال الاجتماعية فيها ، مما يدل على اشتراكها فى أصل واحد ومرور تاريخها فى تيار واحد ، واتجاهها كلها إلى الوحدة الكاملة بإذن الله .

* * *

لقد استمتعت بقراءة هذا الكتاب مخطوطا ، وأذنت لنفسى فى أن أبدى بعض الملاحظات تلقاها بما عرف عنه من حب للحقيقة وسعى إلى استكمال أبحاثه ، ولا شك أن الكتاب سيكون بعد إدخالها مادة جديدة للباحثين فى شئون العرب وأحوالهم .

وقد علمت من السيد البقلي أنه أعد للنشر كتاب « هز القحوف » للشربينى ، وهو من الكتب القليلة لدينا عن الأدب الشعبي العربى المصرى ، ولكننا ننتظر طبعة جديدة له ، تغنينى عن

تلك الطبعة العتيقة الحافلة بالأخطاء ، ثم هى نادرة الوجود بعد ذلك .

هذه كلمات يسيرة أقدم بها هذا الكتاب ، أرجو أن ينفع الله به مؤلفه وقارئه . والله ولى التوفيق .

القاهرة فى يناير ١٩٦٣ حسين مؤنس

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لعل من أقوم الدراسات التى نحتاج إليها فى أيامنا هذه دراسة المجتمع العربى من نواحيه المختلفة حتى يتبين لنا ما حاول المستعمر الغاصب أن يخفيه عن العالم منذ عهد بعيد من أن الوحدة العربية ليست وليدة اليوم بل هى كما عبر السيد الرئيس جمال عبد الناصر أن الوحدة العربية هى وحدة طبيعية لا يستطيع أن ينقضها مخلوق وأنها منذ عهد بعيد .

ولكن الذين يحاولون أن يستفيدوا من الأحوال الراهنة لن يدركوا مقومات هذه الوحدة القديمة ولا أصولها الراسخة فى دماء العرب من المحيط إلى الخليج .

وهذا الكتاب فى إظهار ناحية خاصة من نواحى هذه الوحدة ، وهى ناحية التقاليد والعادات ، أو ما يعبر عنه بالمصطلح الأوربى الحديث بوحدة الفولكلور فى البلاد العربية .

ولم أشأ أن أتحدث عن جميع البلاد العربية وإنما اكتفيت هنا بالحديث عن الوحدة بين مصر والشام ومرجئا الحديث عن وحدة

باقى البلاد العربية الفولكلورية إلى كتاب آخر .

وإذا قلت إنها وحدة مصر والشام فإن غرضى من كلمة الشام ينصب على الشام العربية قبل أن يمزقها الاستعمار الأوربى ويجعلها دويلات صغيرة ، فكلمة الشام كما كانت قبل معاهدة فرساى تشتمل على لبنان وسوريا وفلسطين والأردن .

فالوحدة الفولكلورية إذن تجعل مصر وهذه البلاد كلها وحدة متماسكة متكاملة . وسنرى أن ما نراه من تقاليد وعادات فى مصر هى نفس التقاليد والعادات التى فى أى بلد من البلاد الشامية إلا فى فروق طفيفة هينة .

الجيزة فى يناير ١٩٦٣ محمد قنديل البقلى

الباب الأول

عادات الأفراح

الفصل الأول

أفراح الزواج

من العادات المعروفة في مصر والشام ، وخاصة عند السواد الأعظم من السكان أي في القرى ، وفي الطبقة المتوسطة ، بل وفي الكبيرة (الطبقة العليا) في أحياء كثيرة أن يكون الزواج في سن مبكر للاعتقاد السائد أن الزواج المبكر هو أحسن علاج للناحية الفسيولوجية والاجتماعية بل والاقتصادية للشاب .

والكلمة الشائعة عند الأمهات دائماً قولهن لأبنائهن في الحض على الزواج المبكر « نفسي أفرح بك وأشوف ولادك » ، وقولهن عندما يقدم الشاب أو الفتاة القهوة للضيوف « عقبال ما نشرب شربات فرحك » ، وهكذا من أمثال هذه الكلمات التي تشجع الشاب على الزواج وهو في سن مبكر .

وفي لبنان يقولون للشاب « بالفرح إن شاء الله ، فرحة المحروسين » أو « فرحتك بعرسك إن شاء الله » أو « نشوفك عريس » .

وتكاد تكون هذه هي نفس الألفاظ التي تقال أيضاً في مصر

وسوريا والأردن، وتقولها الضيفات للبنات عندما يزرن أسرهن.

وفى هذه الحالة ينشد أسرة الشاب أو أسرة الفتاة الزوج أو الزوجة التى تكافىء أسرته أو أسرتها من جهة الثروة وشرف المحتد (الأصل) . ولذلك يجيء المثل القائل «لو مكنش لك أهل ناسب» والمثل « اتبع الدرب ولو دارت وخد الأصيلة ولو بارت » والمثل « بنت المقادم غالية ولو كانت جارية » والمثل « خد الأصيلة ولو على الحصيرة » ومثل آخر « دوّر على الأصل المليح واقنيه » وقولهم:

خد بنت أصل البلد والجد لاعمامها
تعيش معاك ع الملح ما تشكيش لجيرانها

والموال :

عاشرت ناس أصله ، قلت يعلونى
يا لوعتى حشوا كبدى وعلونى
صرفت مالى ومال جدى على اللونى
أبيض بلا ذوق ، مالوش عندى رسمال
أسمر ويفهم يستاهل المدح والرسمال
إذا كان بدك تناسب، إوعى يغرك الجمال والمال
دا الرك على الأصل مش الرك ع اللونى

والأغنية :

من كتر مالى خدت من بيت عالى
خدت الأصيله اللى تريح بالى

وأغنية :

ياما مشينا على جسور النيل
رحنا خطبنا من كل عين كحيلة
رحنا رسينا على بنت الأمير الزينة

وأغنية :

بوابة ابويا العالية
فيها العساكر واقفين داورية
مين اللى دلك ع النسب ياشاطر

وأغنية :

كنتى فين مخبيه
يا العروسة ومنقيه
كنت فى العلالاتى
بستنا رضا اخواتى
والدهب كناستنا
والألماظ غسالتنا
واحنا من حلاوتنا
خطبتنا العرميه

وأغنية :

يا حمام انحط وشال
ما خطب إلا النوار
جبت الكساوى من السيد
والعقد والشاطح طيب
والله العريس ما يتعيب
نقى على عينه واختار

وكل هذا هو نفس الفكرة التي يعبر عنها اللبنانيون « بالمجاوين » أى الذين يتكافأون مع من يراد الاتصال بهم عن طريق النسب .

وليست الثروة هى كل شىء فى زواج التكافؤ هذا ، إنما قد يرفض فقير معدم أن يزوج ابنته من ثرى لأن هذا ليس له عراقة الأصل . وفى مصر نرى أن العرب الضاربين فى الصحراء وهم فقراء كانوا فى الماضى يرفضون أن يزوجوا بناتهم إلى المزارعين من أهالى الريف حتى ولو كانوا أغنياء .

فالمسألة إذن فى مصر والشام ليست ثروة العريس بقدر ماهى أصل العريس . كذلك ينظرون إلى التكافؤ فى السن فلا يتزوج شاب من سيدة كبيرة وكذلك يرفض زواج كهل من فتاة صغيرة وفى ذلك أمثال « من همه خد قد أمه » ، وأغنية فيها هجاء لعروس قبلت عريسا أكبر منها سنا :

يـا عروس يـا ذايبــه　　أخدت ها الدقن الشايبه
غروك بقروشهـــن　　تبقى قروشهن سايبه

فإذا بلغ الشاب سن المراهقة يبدأ أهله فى البحث له عن عروس تتكافأ معه فى الأصل ، وتبدأ عملية البحث بشكل يلفت النظر فعلا ، ذلك أن جميع أفراد الأسرة تشترك فى عملية اختيار الزوج، وتتبرع كل واحدة من سيدات الأسرة فى ترشيح العروس المنتظرة، وتدافع عن وجهة نظرها ، وتفضى بكل ما تعرفه عنها إلى عميد الأسرة .

وقد يطول البحث فى بعض الأحيان ويستمر نحو عام أو أكثر من عام . وهنا يتردد سيدات أسرة العريس على المرشحات للزواج ويكثر الترداد لدراسة أحوال الفتاة ومهارتها وسلوكها ، وبالاختصار كل ما يتعلق بها ، ذلك بعد التأكد من تكافؤ أسرتها مع أسرة العريس .

وجرت العادة أن يفطن أهل العروس إلى تردد سيدات أسرة العريس فتعمد أم الفتاة على إظهارها بالمظهر الكامل وتزيينها فى أحلى زينة ، وتجعلها هى التى تقدم تحية الضيوف .

وقد جرت العادة حتى عدة سنوات قليلة مضت فى بلاد الشام وفى مصر أن نساء أسرة العريس يحتلن حتى يصحبن الفتاة إلى الحمام

لرؤية جميع أجزاء جسمها عارية ليتأكدن من سلامتها من كل عيب ، ولكن هذه العادة بطلت الآن ، وإن كانت لا تزال توجد عند بعض الطبقات الفقيرة.

وأحيانا ما يحدث أن تستعين أسرة الشاب فى المدن بالخاطبة ـ وهى امرأة عملها أن تساعد الرجال — وقد يستخدم أكثر من خاطبة لتقوم بمهمة تعريف الفتاة إلى أسرة العريس لأن التقاليد كانت تمنع العريس من رؤية عروسه ، ولا يزال أهالى القرى فى مصر والشام والجزائر وليبيا لا يسمحون للعريس برؤية عروسه حتى ولا معرفة اسمها ، فتقدم الخاطبة بيانها عن الفتيات مسارة ، فتصف الواحدة أنها كالغزال جمالا ورشاقة وأنها صغيرة السن والأخرى أنها ليست جميلة ولكنها غنية وهكذا . ويصور هذا التقليد هذه الأغنية اللبنانية :

يا عروستى داب الورد فى صدرك
صار لى سنة سنتين خاطبك ما عرفت إسمك
اسمك سناسل دهب فى علبة الصيغة
كسبان يا مشترى خسران يا بايع

ويقابلها فى مصر:

لما عرفت اسمك سبع سنين نخطبك

اسمك حليقه دهب فى علبـة السايـغ
يـا بخت اللى اشترى يخلف على البايـع

وكان من مصائب حلت على المجتمـع بسبب هذه الخاطبة ، فاحترافها لتأخذ أجرها من الطرفين يجعلها تـكذب وتغير كثيراً من الحقائق ولها وسائلها الخاصة فى إقناع الطرفين حتى يتم الزواج. ومن حسن الحظ أن أهالى مصر والشام الآن فطنوا إلى أن الزواج السعيد لا يـكون بواسطة هذه الخاطبة أو بغيرها ، فالآن للفتى أن يختار شريكة حياته ، وهو الذى يقنع أسرته بالقبول بعد أن كانت الخاطبة هى كل شيء .

مهما يـكن من شيء فإن الخاطب إذا اختار فتاته عن طريق الخاطبة أو عن طريق سيدات أسرته فيذهب عميد أسرته إلى أسرة الفتاة ، ويطلب يدها للشاب ويعرف بين أسرة الشاب أنه اختار عروسه ويعبر عن ذلك فى مصر والشام معا بقولهم « فلان حاطط عينه على فلانه » أو باللهجة اللبنانية « بخاطره من فلانه » .

يا نقاوة عينى والله ما افوتك
يا عبد ابوها افتح لها البابين
اللا اخواتها الاتنين
يطولوا الرقبة ويملوا العين

وتكاد (شبرا خيت) من محافظة البحيرة فى مصر تنفرد عن بقية البلاد بطريقة للخطوبة هى إذا خطبت فتاة إلى شباب أقيمت فى منزلها حفلات غنائية وراقصة يشترك فيها جميع فتيات الأسرة وشبابها عندئذ تقوم الفتاة بالرقص بين تصفيق الحاضرين ودقات الطبول ، فإذا قام شاب ورقص معها اعتبر ذلك أنه خطبها ، ويعرف الجميع أنه حط عينه عليها ، ولذلك يقال أن حفلا واحدا وزواجا واحدا فى هذه البلدة لا بد أن يتبعها عدة حفلات تتم بواسطة هذه الرقصات .

وهنا يأتى دور أسرة الفتاة فى البحث والسؤال عن الخاطب وأسرته وقد يطول البحث عن مركز أسرته الاجتماعية ، وعن عدد أفراد أسرته وأخلاقه وثروته حتى إذا وثقن بكفاءته وصلاحيته لأن يرتبط معهم بالزواج يصحبن العروس لتشاهد خاطبها فتراه فى ذهابه وفى إيابه

نوّر البوابة دا الورد فتّح
نوّر البوابة محلا العريس
مشيته بِرتابه والعود فى إيده زاين الشرابة

وأغنية :

نورّ البابين دا الورد فتح

نور البابين محلا العريس

ومشيته بالليل والعود فى إيده زاين الخدين .

ثم يرفعون إلى رب الأسرة كل ما وصل إليهن عن هذا الشاب ، فإذا وقع الرضاء يبلغ إلى أسرة الشاب الذى يأتى مع كبار رجال الأسرة وبعض الأصدقاء إلى دار عميد أسرة الفتاة ويطلبون منه الموافقه على زواج البنت من ذلك الشاب .

نحنا أهـــالى العريس جينا

قاصـــدين الفرح الله يهنينا

قولوا لام العروس حتى تلاقينا

بكاسات فضة والشربات تسقينا

وأغنية :

ياشباب ياأهل العريس مابعرف أساميكن

يا فضـة الناقى يَنْدَرَز فى عرافيـكن

وبطـلب من رب السما حتى يخليـكن

لجيب بَنّا حلب يبنى فى علاليـكن

ويظل الفرح بدياركن ونروح نهنيـكن

وبطبيعة الحال تتخذ فى هذه الجلسة الاتفاقات التمهيدية من تقرير المهر - وللمهر أسماء مختلفة فى البلاد العربية الأخرى فيسمى فى ليبيا

« الحليب » وفى الجزائر « الشرط » وفى منطقة نجد « السوق » وفى الأردن وفلسطين « الفيد » . وبعد الاتفاق على المهر تقرأ الفاتحة ويحدد يوم تقديم النيشان وهو عبارة عن سكر وشراب وأرز وهدايا نقـــل وملابس وروائح ويحمله النساء فى أسفاط وهن يغنين :

تو" البيت عمر بالغالى .
يا غالية يا عروسة الغالى

وأغنية :

ياليلة بيضة الليلة دى
فرحنا وكدنا الأعادى

وأغنية :

ضلل يا عنب وانا ع البوابة
لوشفت القصَّة مرصوصة رصه
لوشفت شعرها منتور ورا ضهرها
لتَقَبّض مهرى الليلة يا وله
لو شفت القورة حته بنو"ره
لتخـــد لى صـــوره
لو شفت إيدى ليه" على ليه"

لتقول يا عيني الليـله يا وله
لو شفـت سنـــانى
فى العلبـــة الشـامى
لتموت عــــلى شانى
الليــــــله يا وله
لو شفت رجــــلى
فى الجزمه بتضوى
لتموت عــلى حجرى
الليــــــلة يا وله

وبعد ذلك يحدد يوم تقديم خاتم الشبكة وهى عبارة عن هدية غالبا ما تكون من الحلى تتناسب مع مركز الأسرتين وتسمى الليلة التى تقدم فيها الشبكة فى محافظتى الإسماعيلية وبور سعيد «ضمة» .
ومن أغانى الشبكة :

أملا الفنجال واسقينى
ولو أن نصه يكفينى
أملا الفنجال ملوه بملوه
وحبيبى قاعد ع العلوه
بيدق خواتم للحلوه
يا نار الحب اللى كاوينى

وأغنية :

يا عرايس يا نمايس يا نا
عندى جنينه تطرح فول أخضر
طرحت برابر والديوك تتمحطر
مديت إيدى نعدل الفول الاخضر
شبك الغرام والقلب فرح يا نا

وأغنية :

يا عرايس يا نمايس يا نا
عندى جنينه تطرح اللمون
طرحت البرابر والديوك الرومى
مديت إيدى نعدل اللمون
شبك الغرام والقلب فرح يا نا

وأغنية :

يا عرايس يا نمايس يا نا
عندى جنينه تطرح اللارنج
طرحت برابر والديوك الهندى
مديت إيدى نعدل اللارنج

شبكك الغرام والقلب فرح يانى

وأغنية :

مهما وصفت وقلت وعدت ماشفتش أحسن من دى البنت
زى القمر ليلة اربعتاشر من شافها روّح ولهان
يا للعجب رقة وأدب سحرتنى بلحظ نعسان
كلامها كله حلاوة ده كل حلاوة جذبتنى وملت
القد ده أجمل من الورد يا ريتها عندى أعيش فرحان
اللحظ سهام ريقها مدام قوامها يشبه البان
صعب علىّ هواها ده قوامها مغرم ولهليت
تهموك إنك سكرانه ما سقوكى والله مدامه
ده كيد عزال لما مال قدك أمير الأغصان
حبك سالب قلبنا وعقولنا والله يادى البنت
قولوا لابوها ونينتها أنا بدى آه شبكتها
أعيش سعيد ده نهار عيد إن رضيتم يا غزال عطشان
رضيم أهلها فىّ رضيم وقالوا لى آنست

ومن الأغانى فى سوريا :

يا كنة الزينات يا كنتى ياحب رمان وأنا صنت شهوتى

وإن جيت على طوعى وشورتى للبسك العقد على ركبتي

وبعد ذلك تحدد العائلتان يوم العقد ويسمونه «كتب الكتاب»

وعادة يكون فى مصر فى ليلة الاثنين أو ليلة الجمعة — ويفضل فى سوريا الخميس أو الجمعه — ويستبعدون الاثنين مفسرين أنه يحوى لفظ اثنين لا أكثر أى لا أولاد ينجبهم الخطيبان وكذلك يتشاءمون من شهور صفر وجمادى الأولى والثانية ويسمونها الشهور الصفراء أو الجامدة ويتشاءم المصريون من شهر المحرم .

وتقام الحفلات فى مصر فى منزل العروس . أما فى سورية فيعقد فى منزل أهل العريس ويجريه الفقراء فى المسجد أو فى بيت المأذون ويسمى القاضى (وأيضا يسمى بالقاضى فى معظم القرى المصرية) وينفرد لواء اسكندرونه بسوريا بأنهم لا يحتفلون بيوم العقد فيكتفون بأن يتم ذلك بواسطة رجل من رجال الدين شفهيا يوم الدخلة إما فى بيت رجل الدين ذاته وإما بإحضاره إلى منزل العريس وقد ينظم بذلك عقد شرعى فى اليوم ذاته لدى القاضى الشرعى فى دائرته وقد يرجأ إلى ما بعد العرس وقد يطول التأجيل سنة أو سنتين أو خمسة أو أكثر وقد تصبح العروس أما لعدة أطفال قبل أن يفكر أهل العريس ذاته بتثبيت عقد الزوجية بصورة شرعية .

وكثيرا ما تسمع الزغاريد والغناء فى هذه الليلة . ومن أغانى ليلة العقد :

كتبوا كتـابـك يانقـاوة عيـنى
كتبوا كتـابـك والعرب صفين
ماتروح بقى يالـلى تقلت فلوسهـا
وابوها واقف ماهش قادر يحوشها

وأغنية :

يابو العيون العسلية والخـــد الوان
كتبوا كتاب الشلبية وروّح فـرحان

وأغنية :

دوالى دوالى مهر البيض غالى
مهرك يـا عروسة طقّــرع الصـوانى
لولى لضمنا وحنا عجنـا وابوكى ظلمنـا
خلى المهر غالى

وأغنية :

كتبوا كتابـك عـــلى وردة
تشمهـا ويـرتـاح بـالك
نلتى الـــلى فى بالك يـا عروسـة
ياوحيدة فى جمالك ياعروسـة

وأغنية :

فصّلت لك توب　　لا فضل ولا عوز
ومبارك العرس　　يارايح تتجوز

وأغنية :

سروري سروري وأنا انسريت بها اليومى
ندرى من الله وندرى شفت بنومى
الحمد الله ع فرحة مدللنا
الحمد الله اللى عشنا لها اليومى
ها . . . الحمد لله يا الله
ها زالت الهموم إنشاء الله
ها . . . والمداعى تدعى
ها والنصر من عند الله

وكثيرا ما تسمع هذه الأغانى وغيرها مع مصاحبة الطبول والموسيقى منذ قراءة الفاتحة حتى يتم الزفاف .

وفى هذه الأيام تظهر بعض العادات التى نخشى عليها من الضياع بسبب المدنية الحديثة . ففى القرى والمدن الصغيرة تعتبر الأيام التى تسبق الزفاف أيام أعياد وأفراح للقرية كلها وكذلك فى الشوارع التى تسكن فيه العروس فى المدن ، فإن جميع الأهالى يشتركون

فى الاحتفال بهذه المناسبة إذ تقدم الهدايا من أصدقاء العروس أو أصدقاء أسرته .

وكثيرا ما تكون هذه الأيام فرصة صالحة للصلح بين أفراد العائلة الواحدة أو بين أكثر العائلات المتنازعة فى القرية ويكثر تقديم الولائم والحلوى لكل من يزور الأسرة .

كلوا ياناس لا ترقوا لحالى وأن خلص الرز لقدم لكن مالى
وإن خلص الرز لقدم لكن وأكتر عتابى على اللى يقوم جوعان

وأغنية :

كلوا ياناس من مال البازركان طحنا بالطاحون وسمنا بالقنطار
عريسنا أسمر وعيارى ما يلبس الجوخ إلا بصف زرارى
ما يدق الباب إلا بخنصره ياريت عدوّه بالباب مسمار

وأغنية ترحب بها بالزائرين :

أهلا وسهلا فيكن يا ضيوف عزاز
انتو عزازى وجيتو من بلاد عزاز
أغلى من المرن وأغلى من فراخ الباز
وأغلى من القرش لو كان صاحبه معتاز

وأغنية :

مبارك يا عريس كل شىء عملنا لك

ومباركة بدلتك وزرار قفطانك
ميتين ليره على عرسك نفقنا لك
من مال بيتك وما طلعنا أستمرنا لك

وكذلك يظهر الأطفال بنين وبنات فى ملابس جديدة هذه الأيام .

أما العريس فهو يحتفل بقرب زفافه هو وأصدقاؤه بالسهر معا فى منزله أو منازل أصدقائه ويقضون السهر فى غناء ورقص وطرب حتى ساعة متأخرة من الليل ، وكثيرا ما تقام ما يسمى بالصهبة، وفى حلب « بالتعاليل» وهى عبارة عن اجتماع العريس قبل زفافه وحوله أصدقاؤه ويجلسون أمام منضد زينت بالورد والشموع، والجميع فى فرح يغنون ويطربون ويقدمون له ما يعرف بالنقوط، وهى هدية من أصدقائه وغالبا ما تكون نقدا ، وتعرف فى فلسطين والأردن « بالخلعة » وتكون فى مساء اليوم السابق ليوم الزفاف ويشتهر فيهما المثل . إذا فقرت جوز ابنك » وذلك انتظارا للنقطة .

وأكثر الأغانى التى تنشد فى الصهبة هى أغانى جماعية أكثرها من لون الموشحات ينشدها الجميع معا ويتخلل هذه الموشحات مواويل أو أغانى فردية من أحسن الموجودين صوتا ونشاهد

أنهم فى ليالى الصهبة لا يأتى المغنون المحترفون ولكن يقوم بالغناء الأصدقاء دون غيرهم .

ومن هذه الأغانى :

الليلة ليلة جميلة مطربة ومشجيه
غنت فيها الطيور ويا الصحبة ديه
مفيش ليلة انسجام زى الليلة ديه
أمانه عليك ياليل تعمل بالوصيه
وعلى القانون والعود رايح أغنى لك أغنيه
مفيش ليلة انسجام زى الليلة ديه
مبروك عليك مبروك ياعريس الليلة ديه
قاعد زى المملوك وعروستك حوريه
مفيش ليلة انسجام زى الليلة ديه
عقبال كل مشتاق قاعد حواليه
ويوم فرحه أغنى له أغنيه
مفيش ليلة انسجام زى الليلة ديه

و غنية :

العريس آه جانه ما شى بيتعاجب جوه الجنينه
زغرطوا ياحبايب
دخل الجنينه فى نص الليل والورد والياسمين بيميل
والكروان بيقول ياليل زغرطوا يا حبايب

ماشى كده شبه الطاووس والورد يحضن فيه ويبوس

والشمع قدامه مرصوص زغرطوا يا حبايب

طلع من الجنينه لقى الزفة شاف العروسه قدامه واقفه

قام خد له بوسه من الشفه زغرطوا يا حبايب

راح للعروسه راكب حنطور والمزازيك قدامه طابور

وكلنا حواليه حازدور زغرطوا يا حبايب

شوفوا الحبايب بتهنى منظر جميل حا يجننى

والآلاتيه كلها بتغنى زغرطوا يا حبايب

ومن المواويل:

الفجـــــر، آه لاح قم يا اللى ابتليت بمليح

اخشى الملامه وقل للنوم دا انت مليح

زعق المتيم بصوت عالى وحسه فصيح

وقال خدتنى غدر يابو النهود عجر

أنا لاحلف ع الفجر ليلة الوصال ايليح

ويظهر أن عادة الصهبة هذه بدأت فى الزوال شيئاً فشيئاً.

وخاصة بعد شيوع آلات الراديو وبعد تطور الأغانى .

والصهبة تعرف فى القرى المصرية باسم السامر وكذلك فى قضاءى اللد والرملة وقرى قضاء غزة بفلسطين .

بعد ذلك كله يبدأ الشاب يتردد على منزل خطيبته وهو يحمل إليها الهدايا كما يتردد أهله عليها ، وعادة لا يرى الشاب خطيبته طول مدة الخطوبة إلى أن يتم دفع المهر يوم العقد فتسمح بعض الأسرله بعد ذلك برؤيتها . ولكن أهالى الريف المصرى كما أن أهالى الجزائر لا يسمحون بالرؤية إلا يوم الزفاف .

ومن الأغانى التى تتخلل هذه الفترة :

هيا يا البرسيم وهيا والقمر حاز الثريا
والعروسة فى بيت ابوها والجوارى بيخدموها
والعريس بيقول هاتوها تنوّر البيت علىّ

والأغنية :

يا سرير العروسة اتمخطر
يا قطيفة ومسجر باخضر
يا عروسه كتبنا كتابك بالعلما وشيخ المحضر

والأغنية .

يابو العيون السود كحيله

والفم ضيق حنك الزين
وان عشت لك يــا العريس
لنــــدخلك الحمــامين
واطلب من الله الليل يطول
والمزيكة تضرب ســـنتين

وبعد العقد ودفع المهر تبدأ أسرة الفتاة (بتجهيز العروســة) أى بشراء الأثاث اللازم لتأسيس منزل الزوجية ، وكثير من الأسر فى الجزائر يقوم العريس بتجهيز الجهاز اللازم وتحضر إليه العروسة بلا شيء ويتبع مثل هذا فى شرق الأردن وقليل من الأسر المصرية بدأ فى اتباع مثل هذا فى هذه الأيام ، وتسمى هذه العملية فى مصر بالشوار أحيانا وبالجهاز أحيانا أخرى ، وفى لبنـــان بالتقميش وفى سوريا والأردن بالجهاز .

ومن أغانى الجهاز :

يارب نبلغ مرادى
عدد الحصى فى الأراضى
ونروح مصر السعيدة
نجيب كساوى جديده
ونلبسك يابن الحبيبه

تلبس تكايد الأعادى

وأغنية :

فى السما بطيخة ونا ريت بعينى
جبت الكساوى معطرة بريحه
سبع البرارى صاد غزاله مليحه

وأغنية :

ع النبى بلدّيه يا قلبى صلى
ع النبى بلدّيه جبت الكساوى من تاجر اسمه عطيه
ياعبد سيده طوّره من النوم يصحى لسيده تحت من الناموسيه
ع النبى بلدا ده يا قلبى صلى
ع النبى بلدا ده جبت الكساوى من تاجر اسمه عباده
يا عبد سيده طوره من النوم يصحى لسيفه تحت من السجاده

وأغنية :

فى السما خضرية ونا ريت بعينى
فى السما خضرية جبت الكساوى
جبت الكساوى معطرة ومطليه
سبع البرارى صاد غزالة هديه

والأغنية :

ياخى بيضه ما خطبها إلا انته
جبنا الكساوى من علاوى طنطا
وقعت عتوبه ولا استفادها إلا انته

وبعد أن يتم العقد بأيام ينقل الجهاز إلى بيت الزوج فى موكب تتقدمه الموسيقى وإذا كان العريس من (أولاد البلد) يسير أمام الموسيقى أصدقاءه وأحبابه من الفتوات الذين يجيدون (التحطيب) أى الذين يجيدون المبارزة بالنبابيت ، وكثيراً ما يتوقف هذا الركب ليقوم هؤلاء بألعابهم التى تدل على مهارة وحذق ليس بعدها مهارة وحذق .

وفى قضاء اللد والرملة وقرى قضاء غزة بفلسطين يخصص جزء من مهر العروسة لخالها أو يقسم هذا الجزء على أخوالها إذا كانوا أكثر من واحد ويعرف هذا الجزء باسم « حق الخال » وكذلك يتبع هذا التقليد فى الضفة الغربية من منطقة جبل الخليل ويعرف عندهم « بالبلصة » وهذا يشبه تماما ما يحدث عند الأعراب فى مصر الذين يسكنون الصحراء الغربية فإنهم أيضاً يخصصون جزءاً من المهر لأم العروسة ويعرف باسم « سوار اللبن » .

وتزف العروس فى فلسطين على فرس يقوده خالها ولا تخرج إلا من بيته ويعمل لها كذلك الحنة والاحتفال بليلتها فى منزله .

وعند مغرب ثانى يوم لليلة الحنة تحضر السيدات من أهل العريس يغنين مقطوعات يسمونها (يخلّفوا على خالها) وتنتهى أغانى التخليف على الخال بالمهاهاه ، وتتبع المهاهاه بالزغردة ويقدم للعروسة خالها وكذلك أعمامها النقطة .

تركب العروس الفرس وتلف نفسها بالجمباز (القفطان) أما إذا انتقلت من قرية إلى قرية أخرى فتركب الهودج ويسمى بالمحنى ويسير فى ركابها أهل قرية العريس ، ولكن من المشاهد أن الهودج قل استعماله لانتشار وسائل السفر بالسيارات اللهم إلا إذا كان عند بعض القرى النائية عن المواصلات . وإذا صادف مرور هذا الموكب أحد أقارب العريس فيوقف هذا القريب هذا الموكب ويقوم بعزومته أو توزيع الحلوى والشراب .

وفى معظم قرى فلسطين يزف العريس بعد استحمامه ويدور حول البلد فى زفة يسير فيها جميع أهالى البـــلد بألعابهم المختلفة وسلاحهم وعصيهم تصحبهم الموسيقى ويقدم أهالى البلد النقطة للعريس . وكذلك يجتمع أهالى البلد فى ليالى الزفاف هذه لمدة ثلاث أيام أو أربعة أو سبعة حسب مقدرة العريس المادية ينشدون الأغانى ويقومون بألعاب مختلفة وشبه تمثيليات تسمى «الحرمات» وتكون عادة فى نهاية السامر ليلا وتسمى فى مصر (السترية) .

ومن هذه الأغانى :

يازايرين النبي وبش وصفت المفتاح

يا صاحب السامر صب لى فنجال

ويقوم أهالى البلد بتقديم السكر والشاى لمن فى هذا السامر .

ويتبع الأعراب فى مصر طريقة نقل العروس إلى منزل زوجها ظهراً وهذا شبيه بما يحصل فى الجزائر فتنقل أيضاً العروس فى النهار فى هودج على جمل أو هودج على حصان ويركب معها طفل أو طفلة وتسير فى زفة يتقدمها الطبل البلدى والمزمار ويتبع هذا الموكب سيدات محجبات يزغردن ويغنين على عكس ما يقوم به الأعراب فى مصر فإن الرجال هم الذين يتبعون موكب العروس ويغنون أغان جماعية تعرف «بالمجرودة» يصاحبها الحجل والضرب على الكفوف ولعب العصى .

وفى ليلة الدخلة يزف العريس فى وسط زملائه وأصدقائه فى جوقة موسيقية أو من ينشدون الأناشيد الدينية مثل البردة للبوصيرى والهمزية له أيضاً وكذلك الأنشودة التى استقبل بها أهل المدينة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم هجرته :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما داع لله داع

وينشد فى قرى مصر ما يسمى بالمنظومة ومطلعها :

الله يا الله ياعالمـــا بالسر لا يخفاه

وينشد أيضاً فى قرى فلسطين أناشيد قومية كما يهتفون لزعيم القبيلة أو عمدة القرية أو حاكم المدينة مع إطلاق الأعيرة النارية كما تخرج هذه الزفات من أقرب مسجد للبيت .

وبعد دخول العريس إلى عروسه تغلق عليهما الغرفة ويقف بالباب من حضر معه من الأهل والأصحاب يقرءون جميعاً بصوت مرتفع جزءاً من سورة الفتح على أنه فى قرى مصر يقف الرجال وفى هذه اللحظة يرددون بأعلى صوت « على أبو الحشه يا برسيم » و « طا طا يشرب بل حزامه » و « فرش منديله ع الرمله » و « والحلوه تجيله ع الرملة » ويصاحب هذا التصفيق السريع إلى أن يخرج العريس إليهم وكأن هذا لاستعجاله ومن أبطأ فلا يسلم من السخرية .

وفى ريف مصر وكذلك جبل الخليل كثيراً ما تطلق الأعيرة النارية احتفالا بموكب الجهاز .

أما فى الاسكندرية فيتقدم الموكب دائماً الطبل المعروف « بالنقرزان » ويلعب على دقاته « بالشعلة » ويسير حول العربات التى تنقل الجهاز نسوة يزغردن وهن يحملن على رؤوسهن أسفاط بها الأدوات الزجاجية وأطباق الصينى وبعض الملابس

الخاصة بالعروس وكذلك تحمل بعض الفتيات الصغيرات قلل ملأى بالماء على رؤوسهن .

وفى بعض بلاد الشام وخاصة حلب يسير فى هذا الموكب لاعبو السيوف والعصى ومنشدو الأزجال .

وهنا أحب أن أشير إلى ناحية هامة منتشرة فى الريف المصرى وهى أن الجهاز لا بد أن يحتوى على صندوق رسم عليه أسد يحمل سيفاً وإنى أذهب إلى أن هذا الأسد هو على بن أبى طالب وأن السيف هو ذو الفقار اسم سيف على وهذا تقليد قديم عرف فى مصر منذ العصر الفاطمى ، ونحن نعلم أن من أسماء على بن أبى طالب اسم « حيدرة » بمعنى الأسد بل نرى نقش الأسد وسيفه على جدارن المنازل فى كثير من قرى مصر دون أن يفطن أهالى مصر إلى معنى هذا النقش أو تاريخه .

مهما يكن من شىء فإن الجهاز أو الشوار بعد أن ينقل إلى منزل العريس يستعد هو من ناحيته ليوم الزفاف .

وكانت العادة فى مصر فى القرن الماضى أن العروس تخرج فى موكب من صديقاتها وقريباتها ويذهبن إلى الحمام العام وذلك قبل الزفاف بليلة واحدة ويسمى هذا زفة الحمام فيتقدم الزفة فرقة تتكون من مزمار أو مزمارين وطبول مختلفة الأنواع ، وقد يتقدم حاشية العروس رجلان يحملان الأوانى والملابس

التى تستعمل فى الحمام على صينيتين مستديرتين تغطيان بنسيج من الحرير المطرز أو الساذج ، وفى الزفة أيضاً سقاء ليروى ظمأ السائرين ويسير كذلك رجلان آخران يحمل أحدهما قمقما من الساذجة أو المذهبة أو من الصينى مملوءاً بماء الورد أو زهر البرتقال يرش منه من وقت لآخر على السائرين بينما يحمل الآخر مبخرة من الفضة يحرق فيها العود وغيره من المواد العطرية .

وتتكون حاشية العروس من صديقاتها وقريباتها المتزوجات يتقدمن اثنتين اثنتين وتتلوهن الفتيات العذارى ثم تتبعهن العروس . تحت مظلة حريرية ذات ألوان زاهية أو ذات لونين معاً على هيئة خطوط عريضة ، ويحمل المظلة من قوائمها الأربعة المعلق على كل منها منديل مطرز أربعة رجال وتختفى العروس تحت ملابسها فتتدثر من قمة الرأس إلى أخمص القدمين بشال كشمير أحمر أو نادرا بشال أبيض أو أصفر ويتوج رأسها بغطاء من الورق المقوى يوضع عليه الشال فيحجب وجهها عن الأنظار . وهناك تتسلمها (الماشطة) التى تأخذ فى تجميلها بين الغناء والرقص . والأثرياء من المصريين كانوا يستأجرون الحمام طول اليوم حتى لا يدخله أحد سوى العروس ومن معها وكثيرا ما تستأجر العوالم لتسليتهن فى الحمام .

وفى الليل يخضبون الأيدى والأرجل بالحناء ولذلك أطلقوا على هذه الليلة اسم « ليلة الحنة » . وهذه الليلة من أسعد ليالى الأفراح فى مصر فى القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، ولا يزال أغلب

الشعب المصرى يحتفل بليلة الحنة هذه . .

ومن أغانى هذه الليلة :

يا الحنة ، يا الحنة ، يا قطر الندى
يا شباك حبيبى يا عينى جلاب الهوى
يا خوفى من أمك لتدور عليك
لحطّك فى شعرى واضفر عليك
يا خوفى من أمك لتدور عليك
لحطك فى حجبى واتخطط عليك
يا خوفى من أمك لتدور عليك
لحطك فى عينى واتكحل عليك
وان جتنى أمك تدور عليك
لاحلف بالأمانة ما جه عندنا

ويغنون فى لبنان فى ليلة الحنه :

الله بلانى بلانى سهرانه طول الليالى
الله يخلى أبوكى من بين كل الرجال
حيدوا من الدرب حيدوا تتمرق الشابيه
ريحة زبادك قتلنى والمسك عجّل علىّ
يا ماشطة ومشطيها سوى سوى لا توجعيها

وأغنية :

هيدى بنت الأكابر ومعوّده ع الدلالة

الله بلانى بلانى سهرانه طول الليالى
الله يخلى أخوك من بين كل الرجال
أرقصى يا مليحة أرقصى ولا تبالى
بدف المخشخش بنقلات الجمال
جوزك يا مليحة راح ع الشام وحدو
جوزك يا مليحة جوزك أبو زيد الهلالى

وأغنية :

يا عروس يا جبنة المعصر
يا صحن صينى ومرشوش ع العسل سكر
وال معو مال منك مش أكتر
وال مامعو مال عاشوفتك يتحسر

وهذه أغنية تنتشر فى قرى فلسطين وحمص :

قومى تمخطرى اسم الله يازينه
ياوردة جوا الجنينه
كبش القرنفل يا عروسه
والورد خيم علينا
قومى تمخطرى اسم الله يا عروسه
والبسى أحسن ملبوسه

ما تشوفى أيام منحوسه
بنت الأكارم يا زينه
قومى اطلعى على سريرك
طير الحمام يناغيلك
الله والعدرا تجيرك
يا بنت العرب يازينه

أما العريس فى هذه الليلة فإنه يدعى إلى منزل أحد أصدقائه أو أقاربه ليستحم عنده ويقوم بعملية الحموم حلاق القرية وتمثل هذه الأغنية حموم العريس وما يقدمه له الأصدقاء من النقوط :

طالع من الحمام والحمامه
والوردتين الحمر زانو الجامة
طالع من الحمام ونا شفته
وطاطيت على خد العريس وبسته
وربطت له ميتين على محرمته
وقلت له أنا يا عريس جشلانه
طالع من الحمام وناديته
وطاطيت على خدالعريس حبيته
وكبشت له من الدهب واديته

وقلت له أنا يا عريس جشلانه

وأغنية :

بنيت لك حمام وادى الحمام عجب،
طوبه من فضه وطوبه من دهب
من زحمة الخدام فرشت لك العرب
بنيت لك حمام وادى الحمام جديد
طوبه من فضة وطوبه من عقيق
من زحمة الخدام فرشت لك العبيد

وأغنية :

يا ابيض بلون سؤالك
ولا فى البلد طولك ولا هندامك
ولا فى البلد سبع المليح يعجبنى
يشيل لك الشنطه ليلة حمامك

ويعوم من هذا المنزل فى موكب من أصدقائه وأقاربه أيضاً ويكون الجميع حلقة مستطيلة أو صفين متقابلين وفى يد كل منهم شمعة أو أكثر وأحيانا يحملون أغصانا من شجر الحناء أو بعض الزهور عدا العريس وصديقين له على كل جانب وهم يمشون فى مؤخر الموكب وكثيرا ما يقف هذا الموكب ليغنى أثناءها أحد الرجال أو الصبية أنشودة العرس ويظل حتى يصل إلى منزله .

وهناك طريقة أخرى أكثر اعتبارا تسمى « زفة سادتى » يسير العريس فيها بين أصدقائه وبين حاملى المشاعل دون الموسيقيين ويحل محلهم من يسمونهم « ولاد ليالى » وذلك لاحترافهم الغناء فينشدون أغانيهم أو ينشدون موشحات دينية . منها :

تباركت يا الله ربى لك الثنا
حمـــدا لمولانا وشكرا لربنا

وكان بعض المصريين فى القرن الماضى — يخضب يديه ورجليه فى هذا اليوم أسوة بالفتيات ، ولكن قل أن نجد الآن من يخضب يديه إلا فى بعض البلاد الريفية من مصر .

ثم يأتى يوم الزفاف فتقام الولائم فى منزل العريس ويتقبل هدايا أصدقائه ويرسل أقاربه لإحضار العروس .

وتختلف المدن فى البلاد العربية فى الطريقة التى تأتى بها العروس إلى منزل زوجها ، ففى إقليم البحيرة وقرى الصعيد والفيوم تأتى العروس وهى فى هودج على جمل يعرف بالتختروان « المحنى » يتبعه صديقاتها وقريباتها على جمال أيضاً ، بينما يحف بهذه القافلة أهل العروس من الرجال بينما فى المدن تأتى العروس فى سيارات تتقدمها الموسيقى ويعرف هذا الموكب « بزفة العروس » ويقابلها العريس على باب منزله ويصطحبها بين أغانى المدعوات إلى « الكوشة » وهو المقعد الذى تجلس عليه طوال حفلة العرس ، ثم تبدأ المغنيات والراقصات فى

أداء عملهن إلى أن يأتى الوقت المعد لتناول الطعام فينهض الجميع إلى الموائد ويعودون بعدها لسماع الأغانى ومشاهدة الرقص إلى ساعة متأخرة من الليل ويزف العروسان بعد ذلك وتسمى هذه الليلة « ليلة الدخلة » .

وفى سوريا ترتدى العروس بدلة العرس وتسمى « بدلة الصرما » نسبة إلى قماش معروف بهذا الاسم وتكون قد أزينت ولبست أنواع الحلى تعرض فى منزل أهلها على منبر أو كرسى مدة ويكون قد حضر لها سيدات من أقارب العريس لتنقل معهن ويغنين :

مين قال عنك سميرا يا قمر بدرى
يا باقتين القرنفل ابلة البدرى

وتغنى أم العروس .

قيمى براسك لا تكونى دليله
رتبك الست رتبك الأميرى
ربطنا خيلنا بدار أبوك
ثمن تيام تحصد بالشعيرى

وليلة الدخلة هى الليلة التى يبنى فيها العريس بالعروس فتضاء الشوارع أو الحى الذى يسكنه العريس بالشمعدانات والفوانيس أو القناديل الصغيرة يعلق بعضها فى حبال تمتد من منزل العريس

وعدة منازل أخرى إلى المنازل المقابلة على جانبي الشارع وتعلق أيضاً مع القناديل أو منفصلة رايات حريرية ذات لونين أحمر وأخضر ويسمى القنديل المصنوع من الخشب والمطلى بالألوان الأخضر والأحمر والأبيض والأزرق بالثريا ويسمى الإطار الذى يعلوه والذى يتدلى منه ستة قناديل «بخاتم سليمان» .

وكان شائعاً عند الفلاحين أن يتصل الرجل بزوجته فى ليلة الدخلة لاطمئنان أهلها على سلوكها ، ودليل ذلك أنهم يعلنون عن سابق طهارتها ببقاء بكارتها إلى اليوم ، فيخرج أبوها بشاشة ملوثة ويصيح هو وأهلها ، بيضت الشاش يا عروسة ، ويغنى النساء أيضاً :

شرفتى أهلك يا عروسه

عليتى راس ابوك يا عروسه

حلق دهب فى ودانك يا عروسه

وأغنية :

حلوه يا بلحه ومقمعه

شرفتى خوالك الاربعه

وكثيراً ما يحمل هذا الشاش الشباب من أهلها ويدورون به حول القرية أو الحى الذى هم فيه مرددين «وادى دم البنت الفلاحة» وإنى أذهب إلى أنهم إنما يفعلون ذلك لأن معظم البنات يقمن

بالعمل مع أهلهن فى فلاحة الأرض فترى البنت أو المرأة تشارك الرجل جنباً إلى جنب وتختلط بالقريب والغريب ولكنها تتمسك بعفتها وتحافظ على شرفها .

وفى الأوساط الوسطى والغنية ، تلعب البلانة دوراً هاماً فى تحمية العروس وبعد الحمام فى تزيينها ، ثم ما يتصل بذلك ، وقد تكون البلانة لعروسين أو ثلاث ، وقد تقتصر على بنت واحدة إذا كانت من الأغنياء .

وجرت عادة فى قرى الأرياف أن يجتمع النساء على الباب وكذلك الرجال ساعة التقاء الرجل بالمرأة ويصفقن ويغنين ويهللن حتى ينتهى الأمر فإذا تأخر عنهن الخبر غنين « مرسالك غاب ياوردة » فإذا علمن انتهاء الموقف زغردن ويطلق بعض الرجال البنادق فى الفضاء إيذانا بالانتهاء .

ومن الأغانى التى تتردد فى هذه الليلة :

جنيه يا جنيه يابو مروحه
وعروستك حلوه ومروحه
يا عروسه خدينى على نهودك
يا طبق الورد على خدودك
وانا بدى أناسب جدودك

واخد الجنيه أبو مروحه

وأغنية :

حلقيته رطلين بابك صنيبره

حلقيته رطلين نازل يبرم فى هداديب شاله

كنه المبغدد حاكم على البرين

حلقيته صنيه بابك صنيبره

حلقيته صنيه نازل يبرم فى هداديب شاله

كنه المبغدد حاكم على المنوفيه

وأغنية :

ع الميّه ع الميّه

لم الحرير شويّه

لميته واللى علىّ قضيته

والباشا روّح بيته

قبل العشا بشوية

وأغنية :

سبع قنانى عنبر على وش بيته

سبع قنانى عنبر ربك عطاك
عطاك عروسه يا متغندر
عطاك عروسه يجعل قدمها أخضر

وأغنية :

سبع قنانى زيت على وش بيته
ربك عطاك عروسة والسعد يانور عينى
عطاك عروسه يجعل قدمها زينه

وأغنية :

محلى سكينته الفضه
تضوى زى البلطيه
تضوى زى بنات اليوم
وخيين القصص قدام
روّح ياالعريس فرحان
صيتك عدى المنوفيه

وأغنية :

يابلاص أخضر مليـان
ياقلة سمنودى

والعدو زرع زرعه
طلع الشوك ع الترعه
والعريس زرع زرعه
طلع الورد على خدوده

وأغنية :

يا جدع يا عايق كل الغنى لك
الطبل تركى والقمر لك زينه
ما قلت لك يا جدع يا زينه
الطبل تركى والقمر لك رايق
خدت الأصيلة تعمل فى بيتك راجل

وأغنية :

وارد على الزين ساقيه بجارى البلد
وارد على الزين يا بدلتك يا العريس
مفصلنها اتنين ومخيطنها أربعه
بين العشا والليل وإذا كان معايا مقدره
لدبحت لك شبين ، إلا بلا مقدره

ومن أغانى لبنان :

جبنــا العروس وجينــا ويّــا ام العروس لاقينــا
جبنــا العروس بهزجــه شوفتنــا بالبــــلد فرحــه

وأغنية :

الله معك يا عروس الله معك
وكـتر البـــكى ما راح ينفعـــك
وإن كان فى مســـمار فى بيت أبوكى
اقلعيـــه وخــــديه معـــك

وأغنية :

أهلا وسهـــلا فيـكم يا ضيوف عزاز
انتو أعزا وجايين من بلاد عزاز
أغلى من البنْ أغلى من طيور الباز
أغلى من المـال لو كان صاحبو معتاز

وأغنية :

أهـلا وسهـلا يا أهلتنـا زرتونـا
اخضرت الدنى لمـا آنستونا
تجـوزوا ولادكن وبناتــكن
ونزوركن بالفرح مثل ما زرتونا

وأغنية :

يا عريس يهنا لك كاس العيش يصفى لك
كل الناس تقول بعروسك تشوف حالك

وأغنية :

يا ام العريس لا تكشى ماخسّرناك ولا قشّه
علّق مناخذ عروستنا وتخلى عيونك تمصّى

وأغنية :

ياعروس تفاح منا مُنا كُل حُمرة خديك فيه
من البحر ما منشرب سافر حبيبك فيه
سافر حبيبك لحلب سافرت انا ع الشام
جلب حبيبك غنم جلبت انا غزلان

وأغنية :

يا عروس حىّ الله اللى مربيكى
جوهره منمنمه وين كان يخبيكى
الله وفق عريسك دا حظى فيك
وريت الشفا والهم لا يجيه ولا يجيك

وأغنية :

نقدك يا عينى مية جاموس ومية طية حرير مصفوفه ومكدوسه

ومية ناقه وسايسها وراعيها وكلها ياعيني مابتسوى من خدك بوسه

أهلا وسهلا بالحلوه زارتنا يا عقد لولى لبسناك برقبتنا

كنت غريبه وصرت اليوم كنتنا يفنى الزمان ولا تفنى محبتنا

شو أكلت أمك ياعروس تجابتك حلوه أكلت القلب والمعلاق والكلوه

شو لبسوك ياعروس ليلة الجلوه بدله ظريفه وتليق لقامة الحلوه

أخت العريس يا فريحانه يا مشكله بعرق ريحانه

أخت العريس ارقصى وافرحى لا يحسبوك الناس غيرآنه

شو قالت العروس وهى طالعه سلموا ع الدار وعلى سكانها

سلموا على أمى الحنونه ياما لفلفتنى باحضانها

وأغنية :

محلاكى يا عروسة لما تتمخطرى فى ساعة الزفه وتتمخطرى

بالحسن دا كله وتتغندرى

من فوق خدودك الورد زاهى سبحان خلاقه بحسنه تتباهى

وعيونك نرجس ولحظك ساهى ده عرشك خفه لجمالك انتظرى

وجهك فى محاسنه يفوق الهلال والرقبه الفضه آيه فى الجمال

والغصن شافك مال للاعتدال نهودك رمانى ، ريقك سكرى

شعرك الليلى مسبول على خصرك والبرق خاتم يافريدة عصرك

والعقد اللولى محلاه على صدرك زاد حسن وجماله افرحى وابشرى

يا لون الفضه سنك صغير أوصف فى محاسنك أتعب واتحير
البدر ما يقدر عنك يتخير يا ست الغزلان يا الله اظهرى

وتغنى المرافقات للعريس مخاطبات أهل العروس :

إحنا أهالى العريس جينا
قاصدين الفرح الله يهنينا
قولوا لأم العروس حتى تلاقينا
بكاسات فضه وبالشربات تسقينا

وتغنى أم العريس لابنها :

مبروك يا ابنى انشال الهم من بالك
اليوم عرسك كنار الأرز غنّى لك
حقك تشوف بعروسك ع المدى حالك
بالحسن اخت البدر يا ألف نيالك

وتوصى أم العروس ابنتها فى أغنية :

يا عروس ما بحتاج أوّصيك
ما تخلى حد من الدار يشكيك
هيدى حماتك حبيها وعزّيها
بتعملك بنتها ما بتعملك كنتها

وتغنى العروس لنفسها وقت انتقالها إلى منزل زوجها :

قالت عروسى : شدوا لى مخداتى

طلعت من الدار ماودعت خياتى

طلعت من الدار ما ودعت أمى

وانا الغريبة وسحوا يادموعاتى

على أنى شاهدت فى مدينة الاسكندرية ما يستحق أن أسجله هنا ، ذلك أنه قبل أن يزف العريس مع عروسه آخر الليل يذهب العريس مع أصدقائه إلى مسجد أبى العباس ليصلى صلاة شكر لله ، ثم يعود إلى منزله فى موكب يتقدمه راكبو الدراجات البخارية أو الدراجات العادية والجميع يصيح « صلوا ع النبى » وترن أجراس الدراجات طول الوقت أو أبواق الدراجات البخارية ويجلس العريس فى عربة بين أصدقائه وهم يحملون الزهور .

هذا الموكب اختصت به طبقة العمال ومن دونهم من الأحياء القديمة فى الاسكندرية (حى بحرى) دون البلاد المصرية ولكن لهذا الموكب ما يشبهه فى مدينة الخليل بفلسطين إذ يذهب العريس مع آله وأصدقائه إلى مسجد الخليل وهناك يؤدون صلاة العشاء ثم يخرج الموكب يتوسطه العريس بادئين احتفالهم بنشيد جماعى يردون فيه على طليعة المنشدين .

صلوا على من شرف الأزمان

هذا محمد المبعوث فى مصباح الظلام

وينشدون فى هذه الزفة أناشيد أخرى قومية وحماسية فنى زمن الانتداب الانجليزى كانوا ينشدون أنشودة مطلعها :

فى لندن نربط خيلنا

وينشدون فى هذه الأيام :

يا جدنا يابو خليل
روس السيوف محنيّه
تحنيها من دم اليهود

وتنشد هذه الأناشيد عند ابتداء سيرهم من المسجد إلى أن يصلوا بيت العريس فتطلق الأعيرة النارية وبعدها يدخل العريس إلى بيته ولا يصحبه من الرجال إلا إخوته الصغار فقط أى من هم أقل منه سنا .

ونجد فى عرب الورر فى إقليم البحيرة والمنوفية فى مصر تكون زفة العروسين ظهراً بدلا من الليل ، وقبل أن تدخل العروس منزل زوجها لا بد أن تخطو على ذبيحة تذبح بين قدميها .

ومن أشهر الأغانى عند هؤلاء الأعراب قولهم :

ورانا عمايم بيض يسألم على ما يفعلم

غلى عزيز ما ننساه لو خدوا مراتى

فداه يا علم

وأغنية :

ما لأمى كيفها كيف

ولا الخيه كيف الدمايه

تسمر ليـــلة سمـورى

تهنى ليـــلة هنايه

وأغنية :

إن ما قدرك سيبيه

تلقى عزيز وانا الضامن

وأغنية :

يا لابس العقـد المرجينى

إن كان معاك ادوا داوينى

والحاكم بك شـديد تولى

أنا وعزيز اليوم سـعدنا

فى بيت النجـار قعدنا

على باب الله متـكاين

وأغنية :

بالباس اقطع م الفضه
جرحك جار علينا مضا
يا لباس رقيق الشام
عسكر والظابط قدام
شوفك شوف اللى اصدى
تضربها وتهيب الردى
يا سى العين غيابو طول

وأغنية :

الرقبة كيف البنوره
لا مكسوره ولا مشعوره
ولا دخلت بيت الدبوره
ولا لعبت فيها الابتار

وفى بعض الأحياء الشعبية والقرى تبعث العروس ثانى يوم زفافها بهدايا من الكعك والنقل إلى أصدقائها وأحبابها وكثيراً ما ترد الأطباق التى بها الكعك مملوءة بالهدايا إلى العروس ، فمنهم من يبعث هديته نقوداً ومنهم من يبعث هدايا أخرى وخاصة

ما يحتاج إليه المنزل من سكر أو أرز أو نحو ذلك ، كل على قدر طاقته .

وفى اليوم السابع من الزواج يولم العريس وليمة فخمة لأهل عروسه الذين يقبلون ومعهم هدايا نفيسة لابنتهم ولزوجها .

وعلى هذا النحو تقام حفلات الزواج فى مصر والشام ، غير أن فى مدينة حلب يحدث فى يوم الزفاف ما يأتى :

يأخذ الشاب زينته فى منزل أحد أصدقائه ويحضر إلى منزله بموكب حافل من المطربين والموسيقيين وهو يسير الهوينى بين شابين يشبهانه يقال لهما « سخاديج » وأحدهما « سخدوج » وقد حملت أمامه مصابيح ضخمة على عتلات فى مقدمتهم شداة يترنمون بالمواويل كلما أتم أحدهما موالا يهتف الجميع بقولهم « الله يساور جوز جوزجيز »

وقد تقدم صف الزوج صفوف المطربين وأصحاب الأزجال الحماسية وحملة المشاعل ومحرقو الألعاب النارية والمدرعون واللاعبون بالسيوف ألعاب الفروسية إلى أن يصل منزل الزوج فيدخله ، وتتلقاه عروسه ويضع يدها فى يده أقرب إنسان إليه ،

ويدخلون الغرفة المعـدة لهما ، ويفتـح على رأسيهما طيلسان وردى اللون .

وفى صبيحة تلك الليلة يدخل الزوج الحمام ومعه الجم الغفير من الخلان والإخوان وبعد خروجه منه يعمل له أصدقاؤه الولائم على عدة أيام وهى المسماة « بالصبحيات » وفى اليوم الخامس عشر يولم الزوج لأهل زوجه وليمة شيقة تسمى « عزيمة الخامس عشر » ومثل هذا يحدث أيضاً فى جبل الخليل بفلسطين .

ومما يستغرب من عادات بعض الأهلين من قطان حلب أنهم يفرشون ليلة القران فى غرفة العروسين قطيفة يجعلون رؤوس ما التوى من ريشها إلى جهة عتبة البيت وإلا أبقاها على حالها . وفى الغد يقوم الخصام سراً ، فإذا لم يقع التراضى بين الطرفين فإنهما يعلنان القضية ، وتعلو الضوضاء ، وتشتد الضجة ويفتضح الحال .

ومن العادات الغريبة فى حفلات الزواج تلك التى نراها فى واحة سيوة ، ففى يوم الزفاف تخرج العروس بصحبة صديقاتها وأترابها لتستحم . والمعروف عن أهالى سيوه أنهم جميعاً يجيدون السباحة رجالا ونساء ، كبارا وصغارا . ففى هذا الوقت الذى تسبح فيه العروس تجتمع قريباتها وأصـــدقاء الأسرة فى منزلها

ويأخذون فى الغناء والرقص حتى تعود إليهم ، ثم يأتى الزوج فى المساء ، ولا بد أن يختطف زوجته ويقوم أهلها وأصدقاؤها بتمثيل دور المدافع عنها ،المعارض فى اختطافها . وتنتهى هذه التمثيلية بأن يعود العريس بعروسه إلى منزله .

أما فى مدينة باريس من مدن الواحات الخارجية ، ففيها لون آخر من ألوان الحياة لا تعرفه مدينة فى العالم غير باريس المصرية، ألا وهو الزواج ، أو بمعنى أصح طريقة الزواج . ذلك أنه عندما يحل يوم الزفاف لا تزف العروس لزوجها كما يفعل سائر البشر ، بل يزف عريسها إليها ويذهب إلى حيث يقيم معها فى دار أبيها ، كأنما هى التى تزوجته وليس هو الذى تزوجها ويقيم الزوج مع زوجه بين أهلها وذويها يفلح أرض أصهاره ، ويعمل عندهم فى مختلف الأعمال ويكد حتى ينجب من ابنتهم مولودا ، وسيان أكان المولود ذكر أو أنثي ، كل ما فى الأمر أن يثبت كفاءته وجدارته كزوج ورجل . . . وهنا يكون له الحق فى أن يحمل الزوجة والطفل إلى حيث يعيش بهما مستقلا كما يعيش سائر الأزواج فى العالم كله . وليست هناك مدة مقررة للإقامة ، ولن يعفيه طول الأمد من إتمام هذا الإجراء ، فأجل هذا العهد رهين بوقوع هذا الحدث العظيم .

ولم نسمع بمن اتبع هذا التشريع بين الناس غير سيدنا شعيب

مع سيدنا موسى عليهما السلام ، وقصتهما فى ذلك أشهر من أن تعاد.

وشبيه بعض الشيء لهذا ما يعمله أهالى نجد فإن العريس أيضاً يزف إلى عروسه حوالى العاشرة أو الحادية عشرة مساء إلى منزل عروسه بين أهله وأصدقائه ولكنه يقضى معها ليلة واحدة بين أهلها وذويها وفى صباح اليوم التالى للزفاف يقدم لهما أهل العروسة هدية وهذه الهدية تسمى « الصبحة » وبعد تقديم الصبحة ينتقل العروسان إلى منزلهما الجديد بين أهله .

الفصل الثانى

الأفراح بالمولود

نحن فى غنى عن القول إن أفراح الأسرة فى البلاد العربية يبسط عليها دائما جو من المحبة والألفة والوفاق ويتم للزوجين الأمنية التى ابتغياها من هذا الرباط ـ الزواج ـ بإنجاب الأبناء ولذلك كان حرص الرجل والمرأة بعد زواجهما على إنجاب الذرية حتى تتم ما تصبوان إليه من تدعيم الرابطة الزوجية ، ويدعو لهما الأهل والأصدقاء بأن يروا لهما مولودا ، وكثيرا ما يطالعون كتب التبريج لاسيما كتاب دانيال فيحسبون الأبراج ويستنطقون الكواكب ليكشفوا المستقبل ويعلموا إذا كانت المرأة عاقرا أم ولودا ، حاملا بذكر أم بأنثى . لكن إذا تأخرت الزوجة عن الحمل دب الاضطراب فى الأسرة لاسيما الأم والحماة . وقلقت أفكار ذوى قرباها وذوى قربى زوجها وبادروا إلى استعمال الذرائع الكافلة المطلوب مستشيرين فى ذلك العجائز والقوابل والأطباء مجربين مختلف الأدوية والعقاقير ناذرين النذور للأولياء وللأديرة وواضعين فى عنقها التعاويذ .

وكان فى مصر فى القرن الماضى تقوم نساء القاهرة

بعادة شديدة الغرابة تتقزز منها النفس منعا للعقم فقد كانت ساحة الرميلة الكبرى غربى القلعة مسرحا لإعدام المجرمين وكان الإعدام فى هذا الوقت بضرب عنق المحكوم عليهم بالإعدام فى العاصمة دائما فى هذا المكان من المدينة . وكان جنوبى هذا المكان بناء يسمى « مغسل السلطان(١) » حيث توضع جثة المضروب عنقه على مائدة حجرية لغسلها قبل الدفن وتتجمع المياه فى حوض لا يفرغ أبدا فيظل ملوثا بالدماء، كريه الرائحة ، فيذهب الكثير من النساء إلى ذلك المكان للحصول على النسل أو لتعجيل الولادة فى حالة الحمل المتأخر ، فتمر المرأة صامتة والصمت لازم إطلاقا تحت المائدة الحجرية متقدمة بالقدم اليسرى ثم تمر فوق المائدة سبع مرات وتغسل بعد ذلك وجهها بالماء الدنس وتنصرف وهى صامتة وقد تخطو المرأة جثة المعدم سبع مرات وهى صامتة . ويعتقد بعض من الناس أن من حملت بمثل هذه الطريقة لابد وأن يكون حملها مثل هذا المصير .

إذا حملت المرأة شعرت بالغبطة وسر بها زوجها وذووها ، إذ المرأة الولود تكون موضعا لحب الزوج واحترام الناس وبيتها يكون مثابة للسرور والإيناس. وفى ذلك يقول المثل « كل ولد مسمار يلحم الأب والأم » . فلا غرابة إذا رأينا أفراحا تقام لهذا الوليد

(١) بنى هذا المغسل السلطان بيبرس قبل أن يصبح سلطانا عندما لاحظ أن هؤلاء يدفنون دون أن يغسلوا .

الجديد فى سائر البلاد العربية :

وقد جرت التقاليد العربية على أن الزوجة إذا حملت تخفى حملها فى أول الأمر إلا عن أمها وزوجها خوفا من الحسد ، ولا تظهر أمرها إلا بعد التأكد من وجود الجنين فى أحشائها وهى تعلن وجود الجنين المنتظر بعد أن تظهر عليها عوارض الحمل بعد الشهر الثالث من شهور الحمل حيث تظهر عليها بعض أمراض خاصة تعرف فى البلاد العربية « بالوحم » وفى لبنان اصطلح على تسمية المرأة الحامل « بالمستقيمة » .

وللوحم عند المرأة فنون ، وهذه الفنون تبدو فى احتيال المرأة أن تجعل فكرة الأبوة مسيطرة على الزوج فتتفنن فى طلباتها التى إن لم تستجب تنعكس آثار الحرمان على الوليد المرتجى فيستجيب الزوج لطلبات زوجته بروح دافعة وحرارة أكيدة هى مستقاة من رغبته فى أن يكون له ولد وأن يكون أبا . وكثيرا ما تشتط الزوجة فتطلب أشياء وخاصة من المأكولات أو المشروبات فى غير موسمها كأن تطلب مثلا بطيخا فى الشتاء وترهق زوجها بالطلبات التى لا يقرها الطب ولكن التقاليد جرت على أن تتوحم المرأة .

وفى أشهر الوحم فى جميع البلاد العربية تحتاط الأسرة على ألا تقع عين المرأة إلا على كل ما هو جميل على زعم منهم بأن

المرأة إذا توحمت فإنما يتشبه الجنين بمنظر من تراه أمه بل إذا ظهرت علامة خاصة على جسد المولود فيرجعون هذه العلامة إلى أن أمه قد توحمت وحرمت ، فظهر أثر ذلك على جسد وليدها ويسمونه « وحمة » ولا يزال الطب إلى الآن عاجزا عن معرفة سبب هذه العلامة أو البقع التى تظهر على جسد المولود كما أننا لا ندرى تماما كيف دخلت هذه الآراء على مجتمعنا العربى .

وقد يحدث للحامل فى بعض الأحيان ما ينذر بالإجهاض (الاسقاط) فيضعون فى رقبتها الماسكة وهو تعويذة تمنع فى اعتقادهم الإسقاط .

أما العاقر فكثيرا ما تتكدر لعدم حملها وتلبث حياتها حزينة فتستهدف لإعراض زوجها عنها ولتعيير عواذلها وجاراتها ، فيطلبون لها الأولاد حيثما اجتمعوا بها ، وتعمل للحمل الوسائط العديدة من عقاقير وغيرها رغبة فى تحقيق طلباتها والحصول على ولد يجبر قلبها الكسير .

ومهما يكن من شيء فان الأسرة تستعد استعدادا تاما لاستقبال الابن الموعود فتعد له ملابسه ، وتكثر تكهنات اللبنانيات عند إعداد ملابس الطفل عن جنس المولود أذكرا يكون أم أنثى بعدة طرق منها : (١) رمى الملابس المعدة للطفل فى الهواء فاذا وقعت عمودية على الأرض قلن إن المولود سيكون ذكرا وإن وقعت

أفقية قال إنه سيكون أنثى (٢) تعد ملابس الطفل فرادى لا أزواجا فمن أعدتها فردية كان وليدها ذكراً وإن كانت زوجية كانت أنثى (٣) يلاحظون عند إعدادهن ملابس الطفل أن أول قادم إلى المنزل إذا كان ذكراً يبشر بأن المولود ذكراً وإن كان أنثى كان المولود أنثي .

إذا ما جاء الأم المخاض استدعيت « الداية » التى تقوم بعملية الولادة ، وفى الريف المصرى كما فى الأحياء الشعبية من المدن المصرية يوجد لدى كل داية كرسى خاص تحمله معها لتجلس عليه الوالدة ، يعرف هذا الكرسى بكرسى الولادة .

وللداية فى البلاد العربية شأن كبير عند الطبقات الشعبية ، وفى الأرياف فهى كاتمة أسرار الأسرة ، وهى موضع تقدير الرجال والنساء معا . ويقول القرويون فى مصر إن فى يوم القيامة تحمل الوالدة الداية على كتفيها وتسير بها على السراط المستقيم ، ولذلك تحرص الوالدة على أن لا يكون لها أكثر من امرأة .

وفى يوم الولادة يتوافد أفراد الأسرة والأصدقاء إلى المولود ليقدموا الهدايا المختلفة ويمنحون الداية شيئاً من النقود يعرف بالنقوط . وأول شيء تفعله الداية بعد أن يخرج الوليد من بطن أمه أن تؤذن الداية فى أذنيه بالآذان الشرعى وتصلي وتسلم على الرسول الكريم ، وإذا كانت المولودة فتاة فتذكر اسم فاطمة

بنت الرسول عليه الصلاة والسلام . والفرح دائماً عندما يكون المولود ذكراً . ويعبرون عن هذا الفرح فى أمثال :

أم الولد يفرح لها الريس
يرمى السقاله ويقول لها كويس

وأيضاً :

أم الولد يفرح لها النوتى
يرمى السقاله ويقول لها فوتى

وفى بعض البلاد العربية مثل الشام يجلس الأب فى مكان عام منتظراً بشرى إنجابه ، فإذا جاءه البشير بأن المولود ذكراً منحه الأب « الحلوانية » وهو مبلغ من المال مثل النقوط ، ولذلك يقولون « البشارة إلك والحلوانيه إلى » وهو مثل يضرب على ما يأخذه المبشر نظير تبليغ خبر مفرح سار .

وهذه العادة ورثها الشاميون عن أجدادهم العرب على أن الحلوانية تسمى فى مصر بالحلاوة والبقشيش والبشارة . وفى بعض البلاد تطلق الأعيرة النارية ابتهاجا بالمولود الذكر ولا سيما إذا كان الابن الأول الذى يعرف فى مصر والشام « بالبكرى » .

وقد اعتاد المصريون على تقديم شراب « المغات » للمهنئين بالمولود وهو شراب يصنع من مسحوق جذور نبات أشجار المغات وتقدم بالسمن ثم يوضع على المشروب البندق والسمسم

وجوز الهند ويحلى بالسكر . وبعض فقراء مصر يصنعون هذا المشروب من دقيق الحلبة بدلا من المغات ، ويشارك المهنئون أهل البيت فى هذا الشراب كنوع من الفرحة بالمولود الجديد .

أما فى لبنان وحلب فيقدمون « المغلى » ، والمغلى فى لبنان مسحوق الأرز المغلى بالماء ويضاف إليه السكر وشىء من العطر وهو أقرب شىء إلى الشراب المعروف فى مصر « بالسوبيا » ولكنها تشرب فى لبنان ساخنة ، أما فى مصر فتشرب باردة . وكذلك يوزع اللبنانيون على الأولاد الحلوان ويكون فى الغالب نوع من الحلوى أو الزبيب أو القضامة أو يقدمون فاكهة أو نقوداً وهذا يسمى عندهم « شروقة الخاطر » . ولكن المغلى فى حلب فهو عبارة عن حلوى قوامها الدبس والشمرة .

وجرت العادة أن يوزع المغات على الجيران والأصدقاء والمهنئين بسلامة الوالدة ، وكذلك فى لبنان يوزع المغلى . وهذه العادة تأصلت نتيجة التجربة فالوالدة تخرج من عملية الولادة ضعيفة هزيلة فتحتاج إلى مقويات ، وفى هذا المغات ما يؤدى الغرض . وكذلك أثبتت الأبحاث الطبية الحديثة أن شراب الحلبة مدر للبن الرضيع .

وكثيراً ما تتعسر الولادة فيلبسون الوالدة سبحة من حب اليسر ويدعو الحاضرات معها الله ويتوسلون إلى الأولياء أن يفك

هذا العسر . ومن العادات أن تلبس الزوجة جلباب زوجها ، والذين تسيطر عليهم هذه العادة يلبس الزوج جلبابه مقلوبا حتى تلد زوجه .

وفى لبنان يدعى الرجل إلى دخول الغرفة ويطلب إليه أن يسند زوجه فتلقى بجسدها عليه ، وقد يطلب إليه أن يصعد إلى سطح الغرفة ويجدل السطح بالمجدل ، وإذا لم يفد هذا شيئاً علقوا لها الأحجبة والتعاويذ ونذروا النذور .

وتذهب العقائد الشعبية إلى أن الوالدة تتعرض لأخطار الكبسة المشاهرة) فتحاول الوالدة دائماً أن تمنع نفسها عما يعرف بالكبسة أو المشاهرة التى تؤدى إلى عدم إدرار اللبن للوليد أو تحجر الثدى أو إصابتها بالحمى .

ولا تقتصر العقائد الشعبية على أن الكبسة أو المشاهرة تصيب الأم وحدها بل تتوسع فى ذلك فتلحقها بالوليد فإذا ما أصيب بها ترتب على ذلك أنه يكثر من البكاء ويمتنع عن الرضاعة . ويظهر أن هذه عادة من العادات القديمة التى تعرفها جميع الشعوب السامية التى لا نستطيع تحديد بدايتها .

وعندهم أنه يمكن تفادى المشاهـــرة أو الكبسة عن النفساء يجب ألا يسمح بأن يدخل أى لون من ألوان اللحم النيء أو أى شيء يسيل منه الدم أو أن ترى سكينا أو موسى أو باذنجان أخضر

أو يدخل عليها حائض أو شاب أعذب أو شخص حديث الحلاقة .

وهنا تدخل خرافات عديدة بين الشعب لمداواة هذه الحالة ولكن الجهل المتفشى فى الشعب ينظر إلى هذه الخرافات على أنها حقيقة فمثلا تبخر النفساء بخرقة من ملابس من دخل عليها أو أن تمر النفساء تحت نعش ميت أو أن تسير ليلا فى مزرعة بها نبات الباذنجان أو زيارة أضرحة أولياء الله أو زيارة تمثال من تماثيل مصر القديمة إلى غير ذلك من هذه الأوهام التى يعتنقها الجهلاء على أن لا يسمح للوالدة أن تخرج من منزلها قبل أن يهل الشهر العربى .

واعتاد العامة من المصريين أن يحتفلوا باليوم السابع من ميلاد الطفل وفى هذا اليوم يجتمع أفراد الأسرة والأصدقاء بدعوة على وليمة يقيمها أبو المولود .

الاحتفال بالسبوع

وفى السبوع هذا يحضر أهل الطفل صينية بها ماء ويضعون فى وسطها قلة يلبسونها ثوبا من الحرير ويزينون رقبتها بأنواع الحلى والعقود والجوهرات ثم يوقدون حولها الشموع . ويذكر الأستاذ بوتشر فى كتابه « شاهد فى مصر » أن هذه العادات انحدرت إلى المصريين من عصر قبل المسيحية .

وفى هذا اليوم تأتى الداية فتضع المولود فى غربال وهى تغنى :

يا مليــــح   يا مليــــح
أمك الحرة   وأبوك الفصيح

بينما يحمل جميع المدعوين الشموع الموقدة وتطلق الزغاريد وتبدأ الداية بالدعاء للمولود ولأبيه ولأمه ثم تأتى بهاون من النحاس فتدقه بشدة وهى تقول للمولود « اسمع كلام أمك ، اسمع كلام أبوك » ثم تحمل المولود وتطوف به جميع غرف المنزل وهى ترش فى كل المنزل حصى الملح مع بعض الحبوب مثل العدس والفول والقمح والذرة، سبع حبات من كل نوع من هذه الحبوب . ويعرف هذا اليوم أيضا عند العامة « برش الملح » ، وكذلك يعملون عقوداً من حب الفول المنبت تعلق فى ملابس الطفل وتوزع على الأطفال ، وأيضاً كل عقد سبع حبات ، ولرقم سبعة عند الشعوب السامية القديمة تقديس خاص يعرفه دارسو هذه العقائد . ويقوم جميع الموجودين يرددون فى فرح وسرور :

برجالاتــك   برجالاتــك
حلقه دهب فى وداناتك

وأغنية :

يا رب   يا ربنا
يكبر   ويبقى   قدنا
ويلعب   فى الحارة   زينا

وأغنية :

سموا المولود سعد الله
وعيونه سود سعد الله

والمعنى الذى يهدف إليه الغناء هو الأمنية للمولود أنه سيكون سعيداً فى حياته ، سليما فى جسمه ، موفقا فى مستقبله ، قوياً فى بنيته ، كل ذلك برجال قومه وأسرته .

ومن العادات أن يقدم المدعوون هدايا إلى المولود غالبا ما تكون أرز أو سكر أو نقود كما يعطون الداية شيئاً من النقوط ، ويوزعون على الأطفال بعض الحلوى والشمع ويعرف عند الأطفال « بالسبوع » . وفى نجد تعمل وليمة فى اليوم السابع من ميلاد الطفل وتسمى « إسماوه » لأن الطفل يسمى فى هذا اليوم .

وفى حلب فى اليوم السابع يولم أهل المولود وليمة حافلة بين أطعمتها حلوى قوامها الدبس والشمرة وتعرف باسم « المغلى » وقد يحضر فى ليلة تلك الوليمة قيان للنساء ومطربون للرجال وكل صديق لأبوى المولود يقدم هدايا بعضها مأكول وبعضها مما يتحلى به ، ومنها مسكوكات ذهبية قديمة تعلق فى قلنسوة الطفل ، واسم ذلك « تهناية » .

ويعتقد العامة أن القبر يفتح للوالدة من يوم وضعها ويظل

مفتوحا حتى يوم الأربعين أى أنها معرضة للموت فى هذه الفترة ولذلك يقولون للوالدة عند تهنئتها « عقبال سلامة الأربعين » .

وفى حلب كما فى مصر تذهب النفساء إلى الحمام مع أترابها من النساء .

الرضاعة :

كل أم ترضع طفلها حولين كاملين وكثيرا ما نسمع « فلان راضع من لبن أمه » . وفى الاعتقاد أن من يشبع من لبن أمه يكون رجلا شجاعا ولا يصاب بمرض .

وبعد مدة الرضاعة يفطم الطفل بأن يمنع عن ثدى أمه وذلك لا يكون بسهولة ويسر فتلجأ الأم إلى دهان ثديها بنبات الصبار أو المر لينفر منه الطفل ويعدون له أكلا خاصا سهل التناول كالبسكوت مثلا والأرز والحلوى وغيرها تتمثل فى هذه الأغنية :

يا بابا ، يا بابا ، تعالى
وجيوبك ملانه
بالكعك أبو سكر
وبسكوت الفطامه

ويقولون إن فطام الطفل أول حسرة تحل به أو تنزل بطنه ، وذلك لحرمانه من رضاع ثدى أمه .

قص شعر البطن

على أن بعض الناس إذا ما بلغ وليدهم بضعة شهور يدعون الحلاق لقص شعره ويسمونه شعر البطن ومنهم من يزن هذا الشعر بما يعادله من الفضة ويتصدق بها ويفتل جديلة على شكل خلخال يلبسه فى قدمه الأيسر ويقولون عنه «خلخال حرز» ، ويظل الطفل لابسا هذا الخلخال إلى القصة الثانية ، ومن أمثالهم الشائعة « كل قصة بشبه » أى زيادة فى طوله أو كبره . ومن الناس من ينذر الفضة إلى ضريح ولى مشهور كما يتمثل من الأغنية :

الشيخ شيّع وقال هاتوا البدايه
يزّين ويعيش فى حمايه
الشيخ شيع وقال هاتوا ولدنا
يزين ويعيش فى جبلنا
رايحه رايحه تزين ولدها
تفتح البوابه بسن حلقها
رايحه رايحه تزين الأماره

تفتح البوابه بسن السواره
رايحه رايحه تزين قرينه
تفتح البوابه بسن الحجيله
رايحه رايحه تزين الاميرى
تفتح البوابه بسن الجبيرى
زينه يامزين على الحلف الاخضر
عمه يا معمم عمامة عسكر
زينه يا مزين على الحلف ناشف
عمه يا معمم عمامة كاشف

ويبدو أن هذه الأغنية قديمة من القرن الماضى عندما كان « الكاشف » يحتل مكانة مرموقة فى مصر .

الفصل الثالث

تدليل الطفل

يظل الطفل عزيزاً عند والديه ، يحرصان عليه كل الحرص ولا يدخران وسعا فى إرضائه ، ومن آيات هذا أن الأم لا تترك إبنها ينام دون أن يسعد بالغناء . وهذا الغناء له ألوان مختلفة وإن كانت جميعا تهدف إلى غاية واحدة هى تدليله وإشعاره بمحبة الوالدين ومكانته العليا فى نفوس أهله ، فالأم المصرية تغنى لطفلها فتقول :

يارب ينعس يارب يسكت
وادبح له جوزين كتكت
متخفش يادى الكتكت
دانا بنقول كده علشان يسكت

وأغنية :

يارب ينعس يارب ينام
وادبح له جوزين حمام
متخفش يادى الحمام

دانا بنقول كده علشان ينام

وأغنية :

الولد ده تمر جده
خد الشياخه وخد الشده
سيد الصبيان لما جوله
ينظروا عرضه وطوله
ينظروا الشال المقصب
يا ترى مين اللى عملوله

وأغنية :

ياريته جاى يزوف
والعبايه ع الكتوف
كنت جاى منين يا ابنى
كنت بجي الضيوف

وأغنية :

ياريته جاى ينهز جاى ينهز
لابس المركوب أحمر حجازى
كنت جاى منين يا ابنى

كـنت بحي الغوازى

وهناك أغان تدل على أن الأم تفرح إذا ولدت ولدا فتقول :

لمـــا قالوا دا غلام
انشد ضهرى وقام
وجابوا لى البيض مقشر
وعليه السمن عام

ويظهر حزن أم البنت من هذه الأغنية :

لما قالوا دى بنـيّة
هدوا الفرن عليّـه
وجابو لى البيض بقشره
وبدال السمن ميّـه

ولـكن هناك أغان تتعارض مع هذه الأغنية . فهذه أم تغنى فرحة لميلاد البنت :

اللى من غير بُنـيّة تموت عطشانه
والقـلة جارها واليد خـدلانه

وأغنية :

لما قالوا دى بنيّـه

قلت يانى دى الحبيبه جيّــه
تعجن لى وتخبز ليّــه
وتقعد تحت رجليّــه

ويغنى نساء الأعراب فى مصر :

يا ولد ياهمشرى
يا داير فى بـلاد عـلى
تحلف على أمك لما تموت
ما تخلى فى النجع بيوت
الا لمـا يهج ويرحل

ونلاحظ أن هذه الأغنية تشير إلى « أولاد على » وهى من القبائل العربية التى ظهرت بمصر وكان لها نفوذ قوى أزعج حكومات مصر فذكرها المقريزى فى كتابه « السلوك » وكتـاب « البيان والإعراب عمن حل بأرض مصر من الأعراب » وذكرها الجبرتى فى تاريخه على أنها كانت مصدر إزعاج وتهديد لحكومة محمد على وأخذت امتيازات من كل الحكومات إلى أن أبناءها لا يجندون بالجيش ولا يدفعون ضرائب عن أملاكهم ، وظلت هذه الامتيازات قائمة إلى أن ألغتها حكومة الثورة .

على أن الأم اللبنانية تتفق مع الأم المصرية فى بعض الأغانى ،

ولا ندرى هل نشأت هـذه الأغانى من مصدر واحد جادت به المناسبة نظرا لاتفاق الأمم العربية فى الأقطار العربية فى الأخلاق والعادات والإحساس والشعور ، فمن هـذا الاتفاق غناء الأم اللبنانية :

نام الله يا عينى وعينك عزّ من عينى
وعينك عز من فارس وفارس بأول الخيل

وأغنية :

يلا ينام ابنى يلا ينام لا دبح لو الوزه وطير الحمام
يا حمامات لا تخافوا عم اضحك على ابنى ت ينام

وأغنية :

وين كنت ياشن برن
كنت بقشش وبحطب وبدق البنّ
كنت بسبلك دولابى ع البوابه
مارق عسكرى عزّابى
وابـــنى الـكل

وأغنية :

نام الله يا عينى ورد الجورى بجنينية
ريت الورد ينزرق ويسلم رضا لعينى

وأغنية :

نام أاُ أ، يا عينى — ويا حبقه جوا جنينه
ريت الحبق بينزرق — وتسلم هدى لغينى

وأغنية :

ناعم ناعم عا الريحان — ما انعم دَقو عا الريحان
دقيتو بدياتى — وسقيتو من عيناتى
ورضا يارزقاتى — دّير الساعه لقدام

وأغنية :

يا حادى يا مادى — سلم على ولادى
كسرّ جوز واطعمنى — ولفلفهن باللبادى

وأغنية :

يا حادى واحدى بالليل — ويا عربان شدوا ع الخيل
وإن كنّوا ابنى معكن — الله يوصلكن بالخير
وإن كنو ابنى مش معكن — الله لا يفشعكن خير

وأغنية :

نيمتو على سرير حديد — خفت عليه من العبيد
هزى له يا أم شديد — يلنكى على صوتك ينام

وأغنية :

نـام الله يــا عينى   وابنى يـا عنب زينى
نم وتهنـا بالمنام   لادبح لك طـير الحمام
طـير لحمام لا تخاف   ابـنى مغطى بالحاف

وأغنية :

عسى يـكبر ونربيه   حتى أمّـو تفرح فيـه
على مدرستو بنوديه   بتوصى المعـلم فيـه
بيتعـلم عـلم الحساب   أشطر من كل الشباب

وأغنية :

يلا ينام ابنى لهزلو   وسبـع عمـار طلبتلو
وسبع عمــار لبيّـو   بحيث أنوّ حبيب قـمـر

وأغنية :

يــا جمـال ويـا عمّى   ما نريدك فريد أمى
نريــد أمى ترضعنى   تحط البز فى فمى

وأغنية :

يــا جمال ابو الجمله   هـات النـوم بالعجله
هــات النــوم للعينين   هــات الحسن للخدين

وأغنية :

يـنلا ينـام ابنى يـلا يجيه النوم
يلا يحب الصلا يـلا يحب الصوم
يـلا تجيه العوافى كل يوم بيـوم

وهذه الأغنية تدل على تقوى الأم وشدة إيمانها بالله وذلك بما نوهت به من الدعاء لحفظ وليدها وتنشئته محبا لعبادة خالقه .

وأغنية :

يـلا ، يـلا ، يـا دايم تحفظ عبـدك النـايم
تحفظ عبـدك وتجيرو وتخليه نـايم بسريرو

على أن الأم اللبنانية تدعو فى غنائها لو ليدها أن يطول عمره ويبلغ كمال الرجولة فتموت فى أيامه ويهتم هو فى تشييع جنازتها ودفنها كما تبينه الأغنية:

تقـبرنى تقـبر تقـبر تـنزل على التربه تحضر
تقـبرنى وتحـل الشاش تبـكينى بـدموع رشاش
تقـبرنى وتنـادينى تزرع عـلى قبرى تينه
تقـبرنى يـا شريك قلبى تقـبرنى جـوا الـتربه

ومن الآباء من يخافون كثرة النسل لمـا يحمّلهم ذلك من

النفقات فتنشد الأم مصورة ذلك فى أغنية لوليدها تسرى عن الأب هذا الخوف وتدعوه إلى الاتكال على الله عملا بالآية الكريمة « نحن نرزقهم وإياكم ».

نام يا ابنى نام لا غنى لك ع الكمون

والصيف عاقل والشتا مجنون

يابو الوليدات لا تكون مغبون

معاش الوليدات عند رب السما مضمون

على أن الطفل إذا ما شب وكبر وبدأ يحبو ويتعلم المشى يفرح أهله بأول خطوه فيصفقون له مغنين :

تاته ، تاته ، خطّى العتبه

تاته على مهلك تاته

ويقولون :

انسد يا بير من قدام الأمير

ويقولون فى البلاد الشامية :

الدادى ابنه الله الدادى رز محلى

الدادى ياقرن الفول الدادى يسلم ها الطول

الدادى يوقع ويقوم الدادى ينشا كل يوم

وجرت العادة فى مصر أن الطفل إذا عجز عن المشى بعد أن يدرك السن المناسبة أن توثق أمه قدميه بسعف تعقدها عقدات ثلاث وتضعه على باب مسجد أثناء صلاة الجمعة وتضع معه بعضا من الحلوى وتسأل أول الخارجين من المسجد بعد الصلاة أن يحل عقد السعف ويأخذ ما حملته للطفل من الحلوى .

وإذا ما بدأت أسنان الطفل فى الظهور ويعرف « بالتسنين » فيقول المصريون « إن طلع سنو خبوا العيش منه » وهذا كناية عن الفرح . على أن الشاميين يجعلون تسنين الطفل عيدا عندهم يتقبلون فيه تهانى المهنئين ويقدمون لهم ما يعرف « بالسينية » . وهى عبارة عن قمح مسلوق يضاف إليه السكر وماء الزهر ومختلف القلويات (الصنوبر والجوز واللوز والفستق الحلبى) . وإذا تأخر ظهور الأسنان علقوا فى عنقه أسنان خلد يربطونها بخيط وإذا ما ظهرت الأسنان ، غنوا :

طلع سنو فرحت إمو
زعل بيو على الخبزات

وإذا ما كبر الطفل يبدأ بتغيير أسنانه ويسميها أهل الشام « التقريم » فيأخذ الطفل السن المخلوع ويرميها إلى الشمس وهو يقول :

يا شمس يا شموسه خدى سن الحمار وهاتى سنة العروسة

ونجد نفس المعنى عند الشاميين فيقولون :

يا شمس الشموسه خدى سن الحمار واعطينى سن الغزال

والمصريون يطلبون سن العروسة لأنها تمتاز بالجمال ، والعروسة يضرب بها المثل فيقولون عن الشيء الجميل « زى العروسة » والشاميون يطلبون سن الغزال ، والغزال يمتاز بصغر أسنانه وهو مثل الجمال عند العرب ومن هنا نشأت العادة .

ونلاحظ أن العرب جميعاً يتجهون إلى الشمس فى تبديل أسنانهم ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشمس كانت من الآلهة التى عبدها المصريون قديماً بل امتدت هذه العبادة فشملت جميع البلاد العربية وغيرها .

القرينة :

من عقائد العامة أن الطفل إذا وقع على الأرض وصرخ فيسرع إليه أقرب الحاضرين من أهله ويبصق على المكان الذى وقع فيه ويقول « اسم الله عليك وعلى اختك » وإذا ما عطس الطفل يقولون :

امشى عنه ، روح لمرات عمه

كبيره تستحمل عنه

وذلك يرجع للاعتقاد السائد أن لكل إنسان أخت من الملائكة

تلازم الإنسان ، تحرسه وتقيه وتحفظه ، كما أن لكل إنسان عدو خفي يرعبه ويسبب له الأسقام . وهذه القوة العاملة على الشر يسمونها القرينة .

والقرينة روح شريرة غير منظورة على مثال الجنية وهى بمعنى العشيرة والمصاحبة والمرافقة ويزعمون أنها تظهر ليلا على الأطفال والأولاد فتسبب لهم الرعب والخوف فيصرخون ويرتعدون كأنهم يرون أحلاما تروعهم وتزعجهم وقد يستفيق الطفل أحيانا من نومه وبعض أنامله أو عضو من أعضائه مصاب باحمرار سببه ضغط أو طفح فيقولون « خنقة المطرودة » أو « التى لا تسمى » أو « قرصة شيطان » ويداوون القرينة بالرقوة لأنهم يعتقدون أن القرينة لا تصيب الطفل إلا من عين حاسد . والرقوة .

الأولة بسم الله ، والتانيه بسم الله

والتالته بسم الله ، والرابعه سورة محمد بن عبد الله

ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

اطلعى يا نفس يا ملعونه

قطعت عليك باسم الله

لا تآسى عليه فى طلعته ولا فى دخلته

بقدرة الله المفترج

كما افترق الندى عند دباديب الورق

النفس عنك تروح كما راح الندى عن السطوح

ورقوة أخرى :

أنا نرقيك والمولى يشفيك

من كل عين تآذيك

اطلعى يا نفس ، اطلعى يا نفس

طلعت النفس على العود

فى عرضك يا سيد يا رسول الله

ما نخون فى مال ولا فى عيال

يا نفس يا ملعونه لودّيكى بحر الغطاس

ونطلق عليكى بالرصاص

عين الولد يندك فيها وتد

وعين المره أحدّ من الشرشره

ورقوة أخرى يتلوها الراقون من الشاميين :

الأوله باسم الله والثانيه باسم الله والثالثه لا حول ولا قوة إلا بالله

حوطتك بالله من عيون خلق الله

من عين امك ، من عين ابوك ، من عين اللى يحبوك

من عين الجار أحد من النار

من عين الضيف أحد من السيف

من العين الزرقا ، السن الفرقا من السن الفرقا

من زلمة الكوسى ، من الاجرودى ، من المرة المشعرانيه

طلعت الشقه من الحجر التقت بسليمان بن داود

قال لها : إلى أين رايحه يالعينه يا ملعونه

قالت له : رايحه اهدم التنور واخرب الدور واكسر القبور

وآخذ الطفل من سريره والعريس من اكايله

والعروس من جلوتها والعنزه من حلبتها والدجاجه من بيضتها

والفدان من نيره والجمل من حداجته والحمار من جلاله

يا حيص يابيص ما تعملين شيئا يرضى الناس لا ضعنك فى بحر من القرطاس واسكب عليكى ألف حمل رصاص فلا يعود لك ملجأ ولا مناص راح الشر وانتشر على البرارى والشجر مع القضاء والقدر تنزل مع التنفونه .

ويعمد والدا المحسود أحيانا إلى سرقة قطعة من ملابس الحاسد أو يحتالان على الحلاق الذى يحلق عنده إذا كان رجلا لأخذ قليل من شعره فيخرقان هذا أو ذاك مع قليل من الملح ، والبعض يضيف

إليه الكزبرة وحجر الشب ويبخران الطفل بالدخان ويذران عليه الرماد، ويجب عمل هذا قبيل الغروب عندما يحمر قرص الشمس. ومن المضحك أن جميع الحاضرين يتثاءبون بحركة غير شعورية ويعتبرون أن هذا التثاؤب تأكيداً للحسد . ويستعمل المصريون الشب كثيراً لمنع أثر الحسد فيضعون على الجمر قبيل الغروب قطعة منه بحجم الجوزة تقريباً حتى تنقطع عن الفوران ويتلو من يقوم بهذا العمل أثناء احتراق الشب الفاتحة والسور الثلاث الأخيرة ثلاث مرات ، وفى الاعتقاد أن الشب عند رفعها من النار تتخذ شكل الحاسد ثم يسحقانها ويمزجانها بقليل من ملح الطعام ويرميانها إلى كلب أسود ليأكله أو ترمى فى تقاطع شارعان على أن الرامى لا يكلم أحدا فى ذهابه وعودته .

وهناك من يقص قطعة من الورق ويجعلها على شكل إنسان ويوخزها بإبرة قائلا « هذه عين فلان أو عين فلانة ، نظرتك ولا صلتش ع النبى » ثم تحرق فى النهاية . ومن كان حاضر البديهة ولاحظ أن الذى أمامه حاسدا فيرفع يده أمامه بحركة خفيفة متمتما « خمسة وخميسة » .

الخضة :

إذا ما باغت الطفل شيئاً أخافه أو أزعجه على غفلة فيقولون إنه « طرب » أو « اتخض » وعلاجها عند العامة أن بعض العائلات

تمتلك وعاء نحاسيا بوسطه حلقات من النحاس وبداخلها نقوش يقولون إنهم اشتروها من مكة أو المدينة فى أيام الحج ويسمونها « طاسة الطربة » أو « طاسة الخضة » ينقعون فيها البلح أو التين أو الزبيب أو الجميع معا وتوضع فى العراء ليلة كاملة ويشربها المصاب بالخضة فى الصباح قبل طلوع الشمس لمدة سبعة أيام .

الفصل الرابع

أفراح الختان

لا يشترط للختان سن معينة ولكن الغالب بين أهالى الريف أن يكون الختان بين سن الخامسة والسابعة ، واعتاد الكثير من الناس ختن أولادهم فى اليوم السابع من ولادتهم كما اعتادوا ثقب شحمة أذن الأنثى فيه .

وفى اليوم الذى سيختن فيه الطفل تقام الأفراح ويستعد أبواه لاستقبال هذا اليوم بشراء ملابس جديدة للطفل وغالبا ما تكون الملابس بيضاء ويدعى الأصدقاء والأقرباء . وبعض الأسرات تحضر الفرق الموسيقية ويزف الطفل فى شوارع القرية وهو يركب عربات مع أطفال القرية وأحيانا يلبس الطفل وهو فى الزفة ملابس مزركشة بالقصب ، وفى بعض القرى المصرية يلبس الطفل تاجا من الريش ، وقد يلبس لاعتبارات أخرى ثياب أنثى ، وذلك لاعتقادهم أن هذه الملابس تجذب العين الحاسدة إليها وتلهيها عن شخصه وتكون من أفخر الملابس وأبهاها كما تكون كافية السعة لتلائم الطفل ويمسك الولد بيده اليمنى منديلا مطرزاً مطويا يضعه باستمرار أمام فمه ليحجب وجهه اتقاء شر العين .

ويركب مطية وأطفال القرية حوله يغنون « يابو الريش إن شا الله تعايش » وتطلق الزغاريد .

ثم يأتى حلاق القرية ليجرى عملية الختان بين زغاريد نساء القرية وأغانيهم . ومن هذه الأغانى ما يبين كسوة الطفل وتدرج العملية :

يا من بابه ورواقه هـاوى
والعتبه قرنفل وبخوره جارى
رحت للتـاجر ولقـانى خفـه
جاب لى شواهى من أحسن لفه
حاسـبتك بالله وسـيدى الإمام
البس يا مطـاهر وانزل الزفـه

وأغنية :

طاهره يا مزين تحت السقيفه
واقطـع يا مزين قطعـه لطيفـه
بشويش عليه يا مزين دا ولدى نحيفه

وأغنية :

دارى يا المزين دارى

سمعنى عياط الغالى
وادى امه قاعده بجليه
وادى اخته قاعده بجليه
وادى ابوه ماسك الصنيه
بيلم نقوط الغالى يا عينى

وأغنية:

يا مزينه نازل من البغدادى
موسه دهب والمسن عاجى
وابوه يقول هاتوا الطرابيش لبسوه
وامه تقول توّى بلغت مرادى

وأغنية:

يا ام المطاهر يا حلاوه بيضه
يا زفة ابنك ع العدوه كيده
يا ام المطاهر يا حلاوه حمره
يا زفة ابنك ع العدوه جمره

وأغنية:

يا ام المطاهر يمّ طوق طواحى

واشترى لولدك جاريه من الواحى

تخدم عليه لما تطيب لجراحى

وأغنية :

يا ام المطاهر يم طوق مبروى

واشترى لولدك جاريه م الرومى

تخدم عليه لما يدور ويقومى

وأغنية :

يا فرحتى دخل المزين عندنا

ما تفرشى له فراشات الهنا

الاسطى قطع ما تحضرى له المحرمه

وفى المساء تقام وليمة ثم تبدأ السهرة بتلاوة القرآن الكريم وتلاوة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ويتقبل الطفل هدايا الأصدقاء والأقرباء كما تبعث الحلوى إلى بيوت الأصدقاء ونفس هذا التقليد تقريباً فى جميع البلاد العربية إلا أنه عند الشاميين يسير أمام الزفة المزين الذى سيقوم بالعملية مع فرقة من المزمار ويجرى لعب الخيل ولعب السيف والترس وكلما مر الموكب بدار من دور أهل الفضل والوجاهة وقفوا لقراءة الفاتحة والناس ترمى عليهم القضامة والزبيب وترشهم بالعطور وترشقهم بالزهور ، ثم يتوجهون

إلى الجامع الذى يكون مناراً لهـذه الغاية ومنه يرجعون إلى منزل الطفل المحتفل بختانه .

والعادة أن يذهبوا من طريق ويعودوا من آخر . وكانت العادة عند العرب الشاميين أن يأتوا بابنة بكر فيلبسوها أجمل الملابس ويزينوها بالحلى والجواهر ويوقفونها على سطح المنزل فوق باب الغرفة التى يجرى فيها عمليـة الختان ، فتستمر واقفـة ويدها على رأسها إلى أن تنتهى العملية . وبعد ذلك تولم الولائم وتقـدم الحلوى وغيرها . وتسمى مأدبة الختان عندهم « العزيزة » أو « الضيافة » .

ولكننا نجد أحيانا فى بعض الأسرات يعمل الأهالى بالمثـل القائل « اعلنوا فرحكم واخفوا طهوركم » فلا يعلنون الختان خوفا من الحسد .

الفصل الخامس

أفراح الحج

الحج من أركان الإسلام « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » فالحج فرض على كل قادر ، وفى اعتقاد كل مسلم أنه بالحج يتم الدين ، وهو أمنية كل مسلم فنسمع فى الدعاء « السنة الجايه تكون عند أبو ابراهيم » كناية عن زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى التهنئة بعيد الأضحى « السنة الجايه تكون على عرفات » .

مهما يكن من شىء فإن المسلم إذا عزم على أداء فريضة الحج فإن أهل بيته يبدأون بالغناء له مظهرين فرحتهم وداعين له أن يعود إليهم سالما ونلاحظ أن أكثر هذه الأغانى تتعرض لذكر الجمل وذلك حين كان الجمل هو الوسيلة الوحيدة للسفر إلى الأراضى الحجازية ، وهو القادر على شق الصحراء القاحلة . أما الآن فتغير الحال وأصبحت السيارات تخترقها فى وقت قصير بدل الشهور الطويلة ، بل حلقت الطائرات فى سماء الحجاز وأصبحت الرحلة لاتستغرق إلا بضع ساعات ، ولكن العامة مازالوا يرددون الأغانى القديمة .

ومن أغانى الحج :

غنى الحمام غنى لما النبى ضمن الجنه
قلبى إليك مشتاق يا نبى
من كل جنس ومن كل صنف يسافر لك يانبى
شامى وهندى ومغربى
وقت الحروب جات لك ملايكه لنصرتك يانبى

وأغنية :

صون يا نبى حجاجك
ويا بحر هدى امواجك
زمزم وكوثر فيك
والمراكب جات لجده ودوّرت
والصبايا الحلوة ياما زغرطت
والجمال فى الجبال يا ما برطعت
متخفوش عليهم هوّ الدليل النبى

وأغنية تصف الطريق إلى الحج :

ع النبى وادّينا امشى
عشق النبى وادّينا امشى
احنا طلعنا ع السويس والريس فى البحر يقيس

وركبنا البابور والعجل من تحت يدور
عشق النبي واد ّينا امشى

وأغنية :

أنا بنوصيك عليهم قمر يا قمر
تنوّر عليهم ضلمة الجبل
أنا بنوصيك عليهم سجر يا سجر
تضلل عليهم من حر الجبل

وأغنية :

مال الموج عالى يا ريس الغليون
متخفيش يا ستى دانا ريس قرارى
والمعين ربنا

وأغنية :

والنبي ياحاجج خد امك قدامك
خد امك قدامك ينكتب حجك وتسلم جمالك

وأغنية :

حاجه يا حاجه ونطلب من الله
يردك يا أمى والمعين ربنا
دا القيده بتقول على الله نعاود
وناكل شوك الجسور والمعين ربنا

وأغنية :

ياوردة فى كمى ونطلب من الله
يردك يا أمى والمعين ربنا
ياوردة فى شاشى وانا عليكى بشاشى
ونطلب من الله يردك يا أمى والمعين ربنا

وأغنية :

يا جمل يا جمل إذا جبت لى احبابى
أعلفك يا جمل بسمسم وسكر جلانى
يا جمل يا جمل وإذا جبتم لى
أعلفك يا جمل فى طرف كمى
يا جمل يا جمل وان جبت سيدك
لأعلفك يا جمل وازود عليقك
واركبى يا حاجه ورتّبى حجولك
ما يرعبكشى المالح دا ولدك فى طولك
واركبى يا حاجه وردى غطاكى
ما يرعبكشى الجمّال دا ولدك وراكى
يلما احسنك يا حاجه فى لبس القلاده
يا الله اوعدك ياحاجه ببيت السعاده

يا حاجج يا حاجج خد اختك عديله
تنكتب لك حجتك وتبق جميله
يا حاجج خد اختك قبالك
تنكتب لك حجتك وتسلم جمالك

وأغنية :

يا بو الخف طاره يا جمل يا جمل
يا بو الخف طاره يا ضارى ع السفر
ومشى الحجارة يا هنى اللى انوعد
يابو الخف زينة ياضارى ع السفر
ومشى المدينه يا هنى اللى انوعد
دا القيده بتقول عسى الله نعاود
وناكل شوك الجسور ورد المداود
يا هنى اللى انوعد
دا القيده بتقول عسى الله نرجع
وناكل شوك الجسور وبرسيم نربع
يا هنى اللى انوعد
دا القيده بتقول دانا اسمى ضبيحه
ضربه ع السفر ودبح الذبيحه
يا هنى اللى انوعد
دا القيده بتقول دانا اسمى صفيه

ضربه ع السفر وذبح الضحيه
يا هنى اللى انوعد

وأغنية :

أنا بمدح النبي بكمنه حبيبى
يا هنى اللى انوعد
سكة المصطفى كوادى كوادى
يمشى فيها الغريب ويقول ماهش بلادى
يا هنى اللى انوعد
أنا بمدح النبى جريد النخل طاطى له
يا هنى اللى انوعد

وأغنية :

النبى عامل فرح
شفته بعينى قلبى انشرح
النبى عامل زينه
وصلنا للمدينه
يا هنى اللى انوعد

وأغنية

قبتك يا نبى بناهـــا الخليفه
كملوهـــا الملوك بفضه نضيفه

قبتك يـــا نبى بنوها الطواشى
كملوها الملوك بفضه شواشى

باب محمد مليح وبالمسك فوّح
يانهار السلامه يوم نروّح

باب محمد مليح وله اعتاب حجاره
يانهار السلامه يوم الزياره

باب محمد مليح وله اعتاب توصل
يانهار الهنا نهـــار ما نحصل

وأغنية :

بير زمزم مليح وسلبه حريرى
وكل شربه منـــه شفـــا للعليلى

قعدنا رباعى فى منافى منى
والطواشى يقول منين يا جماعه

زوارك يا نبى جايين يطلبوا الشفاعه

وهذه الأغانى التى تنشد قبل سفر الحاج تسمى « التحنين » . .

وليست الفرحة بالحاج تملأ قلوب الحجاج وحدهم فكانت حكومات مصر تحتفل رسميا بسفر محمل الحاج ويقال إن السلطان الظاهر بيبرس أول من أرسل المحمل إلى الأراضى الحجازية فى عام ٦٧٠ هـ. ويقال إن هذا الاحتفال كان قبل ذلك التاريخ لأن المؤرخين يذكرون أن شجر الدر أدت فريضة الحج فى هودج فاخر . وكان فى العصر المملوكى يحتفل المماليك بقيام محمل الحاج ويتقدم ركب المحمل الصناع على عرباتهم ويؤدون حرفهم على هذه العربات وفى مقدمة الموكب الرسمى الذى كان يهتم به الجند وهم يرتدون أفخر ملابسهم وزينتهم ويحملون آلاتهم الحربية وكأنهم فى استعراض عسكرى وكان يتقدم ركب المحمل أيضاً جماعة الممثلين الهزليين الذين عرفوا باسم أصحاب «المساخر» ومنها اشتقت كلمة مسخرة الحالية وهم فى زيهم الذى كانوا يظهرون به فى الحلقات التمثيلية المنتشرة فى المدن المصرية وكانوا يسيرون فى احتفالات المحمل كما كانوا يظهرون وهم يؤدون أدوارهم التمثيلية أمام الناس ، وكان يسير معهم المصارعون وما يسمى الآن « بالبلياتشو » الذى نعرفه فى « السيرك » ومن هؤلاء من كان يسير على أرجل خشبية قد ترتفع إلى ثلاثة أمتار تقريبا ويسدل عليهم معطف طويل يغطى الأرجل الخشبية ويلطخ وجهه بالمساحيق ، فكان منظرهم يثير ضحك الناس حتى أطلقوا على أمثال هؤلاء اسم « عفاريت المحمل » .

وبعد انتهاء فريضة الحج يعود الحجاج إلى أوطانهم وغالبا ما كانوا يصلون فى شهر صفر ويسمى العامة هذا الشهر « نزلة الحجاج» وقبل وصول الحاج يأخذ أهله وذويه فى طلاء منزله باللون الأبيض ورسم المحمل وهو على جمل على واجهة البيت وكتابة عبارات تدل على التهنئة بالحج « حج مبرور وذنب مغفور » وكتابة آيات قرآنية فيها ذكر الحج .

ومن أغانى عودة الحاج :

عزمتنى ليلى ودقت فى شاشى

عاودى ياليلى مروح لناسى

عزمتنى ليلى لحد المخاضه

عاودى ياليلى لقيت لى رفاقه

عزمتنى ليلى ومسكت فى كمى

عاودى ياليلى مروخ لامى

زغرطى له ياقـلّه واتى مـلانه

نشربك يـا قـله نهار السلامه

زغرطى له يا قله واتى جديده

نشربك يا قله فى مصر السعيده

وأغنية :

يا بشير الهنا يا رايح بلدنا

قل لبويا العزيز يزوق عتبنا

يا بشير الهنا يا رايح بلادى

قل لبويا العزيز يزوق عتابى

زوقوا البوابه وحتى عتبنا

واعملوا فى الزوقه غزاله وولدها

زوقوا البوابه وحتى عتابى

زوقوها مليح لما الحج ياجى

زوقوا البوابه وحتى قفاها

زوقوا البوابه واعملوا فى الزوقه غزاله وضناها

رسل الحج وقال دقيق ياصبايا

لاجل فرش الحمول ودبح الثنايا

رسل الحج وقال دقيق حضروا لى

لاجل فرش الحمول ودبح العجول

وإذا ما وصل الحاج يستقبله أهله بالزغاريد وفرق الموسيقى ويضاء منزله بالأنوار ويتقبل تهانى الأهل والأصدقاء كما يدعو أقاربه ومحبوه فى اليوم السابع من وصوله إلى وليمة يقيمها كما يتقبل

هدايا أصدقائه وأهله وغالبا ما تكون كميات من الأرز والسكر وزجاجات من الشراب وكذلك يوزع هو عليهم هدايا مما أحضرها معه وغالبا ماتكون « سبح » ويحتز بها المصريون وكذلك « طواقى » مزخرفة للأطفال.

أما فى الشام فتتم حفلات الحج حين العودة بعد أداء فريضة الحج ويقدم الحاج إلى خواص ذوى قرباه وجيرانه وأصدقائه وزملائه وأحبابه هدية ، وتختلف هذه الهدية بحسب مقدرته المالية ، ويبتدىء المهنئون بزيارته فى داره ، ويقدم له خواص أصدقائه وأقربائه قبل وصوله إلى وطنه هدايا تكون غالبا من اللباس الفاخر ويكون مثل ذلك بعد رجوع أحدهم من زيارة مسجد الرسول الأعظم فى المدينة المنورة ، وتختم هذه الزيارات غالبا باقامة حفلة يدعونها « مولدا » وهى عبارة عن اجتماع يضم أصدقاء المحتفى به وذوى قرباه وزملاءه وجيرانه فى داره ويدعون المنشدين ويفتتحون الحفل بتلاوة بعض آيات من القرآن الكريم وينشدون بعض قصائد فى مدح الرسول ، يتلون المولد النبوى فيه ، وتعداد بعض مآثره ونسبه وبعض إرهاصات تقدمت بعثته وحين مولده ويقصدون من ذلك التبرك .

الباب الثانى

الأعياد والمواسم

للمسلمين أعياد ومواسم دينية وغير دينية يحتفلون بها وتبدأ هذه الأعياد مع هلال العام الهجرى فى شهر المحرم فيحتفل بابتداء العام الهجرى فى مصر بأكل الحلوى واعتاد أهل حلب أن يكون فطورهم فى هذا اليوم من طعام حلو وأن يخرج جماعة من العجزة يتصدق عليهم الناس بشيء من البرغل يقال لهم « فاز من صلى » سموا بلازمة زجل ينشدونه على الأبواب وهو « فاز من صلى تاج العلى طه النبى المصطفى جد الحسين » وبعض الناس يسمونهم « الحسينية » . وهذه العادة موروثة عن الطوائف العلوية التى كانت تسكن حلب . وكذلك يتصدق المصريون فى الأيام العشرة الأولى من هذا الشهر . وكذلك نسمع فى هذه الأيام العشرة نسوة ينادون « بخور عاشورا المبارك » ويسمونه « الميعة المباركة » وهى مزيج من عقاقير مختلفة أهمها الملح والكزبرة والحبة السوداء .

ويوم عاشوراء يقدسه المسلمون جميعا لأن له ذكرى أليمة فى نفوسهم فهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وتعتبر طائفة الشيعة أنه أجل حدث فى التاريخ الاسلامى ،

وكان الشيعة الفواطم يحتفلون بهذا اليوم بإقامة المناحات ويكثرون فيه من البكاء على مقتل سبط الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يقيمون موائد حزن لا يقدمون فيها سوى المخللات والملح والخبز الأسود.

وجاء الأيوبيون بعد الفاطميين فغيروا العقائد الفاطمية وكان مما عملوه تغيير الأطعمة فى يوم عاشوراء فكانوا يوزعون الحلوى على الناس لا لإظهار سرورهم بمقتل الحسين وإنما إظهارا لسياستهم التى جاءت للقضاء على سياسة الشيعة.

ابتدع الأيوبيون فى هذا اليوم ذلك الصنف من الحلوى، الذى لا يزال يسمى إلى الآن فى مصر باسم «عاشورا» وفى الشام باسم «الحبوب» ويشير إليه ابن منير الطرابلسى بقوله:

وسهرت فى طبخ الحبو ... ب من العشا إلى السحر

وكان يحتفل أهل الشام قبل خراب مشهد الحسين فيولمون فيه وليمة حافلة وينشد أحد المطربين قصيدة ابن معتوق فى رثاء الحسين التى مطلعها «هل المحرم فاستهل مكبرا».

وهناك ناحية شعبية يتناقلها العامة السذج من أبناء الشعب ويتوارثها الجيل بعد الجيل ألا وهى «بغلة العشر» ذلك أنهم يقولون أن فى ليلة العشر من المحرم فى كل عام تظهر بغلة عليها «خرج» فى جانبه الأيمن رأس الحسين رضى الله عنه تتقطر منه

الدماء وتئن أنينا حزينا مفجعا جاحظة العينين شعثة الشعر فى منظر مخيف . وفى الجانب الأيسر من « الخرج » نقود ذهبية وتقف البغلة عند الموعودين فقط فإن من وقفت على بابه البغلة وخاف من منظر الرأس أسرعت البغلة بدورها فى انصرافها عنه ووقفت عند موعود آخر لا يخاف ، فاذا ترحم على الحسين وأخذ الرأس وغسلها وطيبها بألوان الطيب ومشط شعرها ووضعها كما كانت فى الخرج بين ترحمه وتلاوته آيات القرآن الكريم فمن حقه أن يأخذ الذى فى الجانب الآخر من « الخرج » على أن يضع نخالة الدقيق بدلا من هذا الذهب ، فإذا فعل ذلك سارت البغلة عند موعود آخر ، وينعم هو بالأموال ، وتنقلب النخالة بعد ذلك إلى أموال ذهبية .

وما أن يهل هلال ربيع الأول حتى نرى جميع المدن تكثر فيها الحركة وتبدو على أهلها الفرحة والبهجة بل تكثر الأنوار فى شوارعها ، فنجد محالا جديدة تقام كلها تعرض بضاعة لم نرها إلا مع هلال ربيع الأول ألا وهى عرايس المولد وحلاوة المولد — مولد الرسول صلى الله عليه وسلم — وفى معظم المدن تخترق شوارعها الرئيسية زفات تسير فيها جميع الفرق الدينية بأعلامها المميزة ينشدون مدائح نبوية ومنهم من يؤدون حركات الذكر وهم سائرون تصاحبهم دقات الطبول ويتبع هؤلاء فرق الصناع على عربات وهم

يؤدون أعمالهم وكأنهم فى مصانعهم . وتستمر هذه الزفة من أول ربيع حتى الليلة الثانية عشرة وتسمى « الليلة الكبيرة » .

وفى القرى يحتفل الناس بليلة الثانى عشرة بالتوسعة على ذويهم من صنوف المأكل والحلوى وتعود بعض أغنياء القرى أن يتبرعوا بكميات وافرة من السكر والشاى وبعض المشروبات الأخرى توزع على الناس فى المسجد كما يطعمون الفقراء ويجتمع قراء القرية ينشدون الأذكار ويقصون سيرة المولد النبوى ..

وأهم شىء يستحق أن نسجله هنا هو ما كان يحدث فى مجتمع القاهرة فى القرن الماضى وهو ما يسمى بالدوسة فقد كان يقام الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم فى بركة الأزبكية فكانت تضرب خيم كبيرة فى أرض هذه البركة ويجتمع فيها الدراويش وأهل الفرق الصوفية للذكر كل ليالى المولد الاثنى عشر ويرتفع وسط هذه الخيم سارية تشد بحبال شدا متينا ويعلق بها اثنى عشر قنديلا أو أكثر ويقوم حولها بالذكر الدراويش فى حلقات ويستمرون فى أذكارهم وفى تلاوة الأناشيد الدينية من أول الليل حتى الفجر .

وفى عصر اليوم الأخير كانت تخرج طائفة الدراويش السعدية بموكب يبدأ من مسجد الحسين حتى يصل إلى بركة الأزبكية مكان الاحتفال ويركب شيخ هذه الطائفة حصانا وما أن يصلوا إلى البركة

حتى يستلق عدد من هؤلاء الدراويش على بطونهم على الأرض وأيديهم تحت جبهتهم وهم يهمسون باسم الله وبينما هم على هذا الحال يجرى فريق منهم حفاة على ظهور إخوانهم المستقلين ثم يتبعهم شيخ الطريقة بحصانه فيمر الحصان على ظهورهم من أولهم إلى آخرهم ويقود الحصان شخصان دون أن يصابوا بسوء ثم يقومون ويتبعون الشيخ .

وفى الشام يحتفلون فى المساجد بليلة المولد النبوى الكريم فى المساجد بتلاوة قصص مولده صلى الله عليه وسلم ويستمر الناس فى تلاوتها حتى آخر شهر ربيع الأول ويولمون من أجلها الولائم العظيمة .

وفى أول خميس من شهر رجب يذهب نساء القرى لزيارة المقابر ويوزعن الصدقات والفطائر ويسميتها « طلعة رجب » ويكون ذهابهن فى الصباح ويعدن حوالى الظهر ولكن أهالى القاهرة يجعلون « طلعة رجب » فى منتصفه فيذهبون بشكل يلفت النظر رجالا ونساء ويبيتون فى المقابر ليلة أو ليلتين حتى تكاد تكون بيوت الطبقة المتوسطة ومن دونها خالية فى أيام « طلعة رجب » .

وهذا التقليد هو عادة متأصلة عند المصريين منذ العهد الفرعونى لأنها من التقاليد الدينية فى مصر القديمة واحتفظ بها المصريون

ولا يزالون يقومون بها فى المواسم والأعياد عند أهل القاهرة ويزيد أهل ريف مصر زيارتهم أيضا للمقابر صباح كل خميس من كل أسبوع وخصوصا إذا كان لهم متوف حديث العهد.

وفى السابع والعشرين من رجب يحتفل المسلمون بذكرى إسراء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى، وقصة الاسراء من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام التى بهت من لم يؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وجادلوه فيها، فلما ظهر لهم صدق روايته آمنوا به وبرسالته. وفى الاسراء نزلت الآية القرآنية الكريمة «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله» وذلك إمعانا فى صدق رسول الله وتأييدا لما ذكره عن إسرائه.

ولذلك اتخذ المسلمون يوم الإسراء يوماً يوسعون فيه على ذويهم فكأنه يوم عيد ويجتمع الناس فى المساجد يسمعون لقصص الإسراء والمعراج من الوعاظ، فيتحدث هؤلاء إلى الناس أن النبي محمد عليه الصلاة والسلام قابل فى معراجه جميع الأنبياء والمرسلين السابقين عليه وتحدث إليهم وتحدثوا إليه حديثاً كله إشفاق على البشر والبشرية، كلهم محب اسلام الإنسانية وخلاصها من الشرور والآثام.

ويذكرون أيضاً أن الرسول رأى فى المعراج بعض الصالحين والصالحات من قوم موسى وقوم عيسى عليهما السلام وأنه أيضاً

شم رائحة طيب في مكان ما فسأل عن هذا المكان وعن هذا الطيب فقيل له : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها ، وكان من شأن هذه الماشطة أنها كانت تمشط ابنة ملك مصر ، فسقط المشط من يدها فقالت : بسم الله تعس فرعون ، فقالت لها ابنة الملك : أو لك رب غير أبي ؟ فقالت الماشطة : نعم ربنا الذي خلق أباك . فذهبت البنت إلى أبيها وأخبرته بما كان من الماشطة . فاستدعاها فرعون إليه وسألها : ألك رب غيري ؟ فقالت : نعم ربي وربك الله . فغضب الملك وأمر بإحضار ولديها وزوجها وهددهم بأقسى العذاب إن لم يعودوا إلى عبادته ، وأمر بقدر كبير أشعل تحته النار لإرهابهم . وكان لهذه الماشطة بنت رضيعة لم تتجاوز السبعة أشهر ، فأنطق الله هذه البنت إذ صاحت تقول لأمها : يا أماه ، ارم نفسك في القدر ولا تتراجعي فإنك على الحق ، وفرعون على الباطل . فاشتد غضب فرعون وأمر بإلقاء الأسرة جميعاً في القدر الملتهب . ويقولون إن هذه الرائحة الطيبة التي وجدها الرسول هي رائحة شواء هذه الأسرة المؤمنة التي تقبلت عذاب فرعون على ألا تشرك بالله . ويذكرون أيضاً أن الرسول عليه الصلاة والسلام مر بطور سيناء وصلى هناك ركعتين إذ في سيناء كلم الله موسى تكليما ، وكذلك مر ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام وصلى هناك ركعتين . ويذكرون أيضاً أحاديث لترغيب الناس في العمل الصالح وهجر المعاصي . وفي الشام

يوسع الناس أيضاً على ذويهم ويجتمعون فى المساجد وكان يجتمع أهل حلب بمسجد الحسين قبل خرابه ويقرءون قصص الإسراء والمعراج .

وكانت القاهرة فى القرن الماضى تحتفل بليلة الإسراء والمعراج خارج باب العدوى فيقيمون الأذكار قبل ذلك بثلاثة أيام ويقوم العامة بالألعاب المختلفة ويقوم الدراويش بعمل الدوسة التى سبق أن أشرنا إليها فى المولد النبوى .

ويعظم المسلمون فى مصر والشام ليلة النصف من شهر شعبان إذ فى اعتقاد العامة أن الله سبحانه وتعالى يكتب أعمار الناس فى هذه الليلة فيجتمعون فى المساجد بعد صلاة المغرب ويتلون دعاء يبتهلون به إلى الله أن يطيل أعمارهم ويوسع عليهم فى الرزق ويتلون قبل الدعاء سورة يس بصوت مرتفع، يقرؤها إمام المسجد وهم يردون ونص الدعاء : اللهم ياذا المن ولا يمن عليه ، ياذا الجلال والإكرام، ياذا الطول والإنعام، لا إله إلا أنت ظهر اللاجئين وجار المستجيرين، وأمان الخائفين ، اللهم إن كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا أو محروما أو مطرودا أو مقتراً علىّ فى الرزق فامح اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى وطردى واقتار رزقى ، وأثبتنى عندك فى أم الكتاب سعيداً مرزوقاً موفقاً للخيرات ، فإنك قلت وقولك الحق فى كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . إلهى بالتجلى الأعظم فى ليلة النصف من شهر

شعبان المكرم التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم أن تكشف عنا من البـــلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم إنك أنت الأعز الأكرم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسـلم .

وقبل أن ينتهى شهر شعبان حتى يعمل المسلمون على استقبال رمضان فى فرح وسرور فهو من أحب الشهور عند المسلمين وأعز الشهور عند الله ففيه نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى وبينات من الهدى والفرقان » . ويذكر المقريزى « وكانت العادة جارية من الأيام الأفضلية فى آخر جمادى الآخرة من كل سنة أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختم ويحذر من بيع الخمر ، فرأى الوزير المأمون لما ولى الوزارة بعد الأفضل بن أمير الجيوش أن يكون ذلك فى سائر أعمال الدولة فكتب به إلى جميع ولاة الأعمال وأن ينادى بأنه من تعرض لبيع شىء من المسكرات أو لشرائها سراً أو جهراً فقد عرض نفسه لتلافها وبرئت الذمة من هلاكها » . وكانوا قبل نهاية شهر شعبان بثلاثة أيام يكلفون القضاة بالمرور على المساجد والمشاهد لإصلاحها وتفقد إضاءتها وتجميلها حتى تبدو بالمظهر اللائق بها فى شهر رمضان .

ولا زلنا إلى الآن نعمل ما كان يعمله الأقدمون ، ففى عصر

آخر يوم من شعبان تحتفل المدن والقرى برؤية هلال رمضان فيخرجون فى زفة يسير فيها أرباب الطرق الصوفية بأعلامهم وشعاراتهم والفرق الموسيقية وأصحاب الحرف المختلفة على عربات وكأنهم فى مصانعهم أو محلاتهم بجانب استعراض الجيش وفرق رجال الشرطة وتضاء مآذن المساجد وبعد المغرب إذا ما ثبتت رؤية الهلال تطلق المدافع إيذانا ببدء الصوم ونسمع أطفالنا فى نشوة من الفرح يرددون أناشيد وأغان وهم يحملون فوانيسهم المضاءة :

وحوى يا وحوى إيوحه

رحت ياشعبان جيت يا رمضان

إيوحه

وأيام رمضان كلها أعياد وتوسعة ، فنجد سلعا يقبل عليها الناس أكثر من غير رمضان وهى الكنافة والحلويات وأصناف الياميش تقام منذ ابتداء هذا الشهر وتنفض بانتهائه . ونجد أغلب الموسرين فى المدن والقرى يستأجرون فقهاء يسهرون ليالى رمضان بتلاوة القرآن ويتزاور أهل الأرياف ليلا . ويلفت نظرنا فى القرى هؤلاء الأطفال الذين يجتمعون قبل آذان المغرب بقليل وهم يحملون معهم صوان عليها طعام يفطرون بها على أبواب البيوت وهم يرددون :

يا رمضان غتنا
اللاجوع والعطش موتنا

وأغنية :

باير باير ، اوطر يا صايم
علىّ الكعك أبو سكر والعيش المقمر والجبنه القديمه
حولين المدينه خوخ ورمان وحصايب للنسوان وطرابيش للجدعان
كتر خيرك يا رمضان روح بقى بالسلامه

وهذه أغنية فرحة المسلمين بأيام رمضان وأنها خير من أيام العام كله ، فهى أيام عبادة ، وأيام تردد على المساجد وأيام توسعة وأيام يفرح فيها كل مسلم لما قام فيه بواجبه نحو ربه :

يا رمضان يا ورق اخضر
أيامك زى السكر
بتيجى لنا بنفكر
أيه نعمل فيك يا رمضان
إحنا الشبان البكر
دانتا بتجينا معطر
وبتعزنا فيك كمان

يا رمضـان قوينـا

دا صيامك بيهنينا

وع المساجد بيودينـا

ونصوم ونصلى فيك يا رمضان

يا رمضان ياورد جميل

وبينوّر فيك القناديل

وبتفرّح كل الأطفال

ويعتقد العامة أن رمضان ملك من الملائـكة وأنه إذا حل قيد العفاريت والجن فى قماقم من النحاس فلا يظهر الجن طوال هـذا الشهر فيستطيع الناس إذن أن يعيشوا فى سـلام وطمأنينة بل يستطيعون أن يرتادوا مسـارح الجن فى الأماكن المهجورة دون خوف أو وجل لأن الجن قد سجنها رمضان ، ولذلك يأخـذ القرويون فى السهر خارج بيوتهم وربما يقومون بزيارات للقرى المجاورة لهم ليلا فى الظلام الدامس فى شهر رمضان دون غيره من شهور السنة . والأطفال فى القرى يرددون هذا الرأى فى أناشيد جماعية وهم يلهون فرحين :

يا رمضان يا عود كبريت يا مقيد كل العفاريت

حتى إذا جاء آخر يوم من رمضان أخذ المصريون عـــدتهم

لاستقبال عيد الفطر المبارك ولكنهم فى الوقت نفسه يعملون ألف حساب لماتوارتوه من الرأى القائل بالإفراج عن العفاريت عقب صلاة المغرب مباشرة فى آخر يوم من رمضان حتى تبلغ السذاجة ببعض أفراد الشعب إلى الخوف من أن عفريتاً من العفاريت التى تخرج منطلقة من القماقم النحاسية قد تضل الطريق فتدخل الدور والمنازل وتستقر فيها ، فكان لا بد أن يقوم الشعب بعمل ليدرء خطر إقتحام الجن والعفاريت منازلهم ومنع هذه العفاريت من الاقتراب من المنازل ولذلك نرى العامة فى مصر يرشون الملح فى كل حجرة من حجر المنزل وخاصة أركان الحجر ويرددون « يا بركة رمضان حطى فى كل مكان » ويجلس الصبية أمام أبواب المنازل يضربون آنية نحاسية بها قليل من الملح حتى إذا اقترب العفريت من المنزل وسمع هذه الأصوات النحاسية توهم أنها القماقم التى سجن فيها فيهرب عن هذا المنزل خوفا من أن يسجن مرة أخرى . وجرت العادة أن الأطفال وهم يضربون هذه الآنية النحاسية يغنون أغنية مطلعها :

يا رمضان يا صحن نحاس　　يا داير فى بلاد الناس

سقت عليك ابو العباس　　تبات عندنا الليله

ويخيل إلينا أن هذه الأغنية وما فيها من ذكر لأبى العباس . والمقصود به الخليفة العباسى ، هى أثر من آثار تفضيل العباسيين على الفاطميين فى العصر الأيوبى .

ولعل أبرز شخصية فى رمضان هى شخصية المسحراتى ، ذلك الرجل الذى يجوب شوارع الحى وحاراته وأزقته يحمل فانوسه ويدق طبلته دقات خاصة غير متبعة فى دقات الموسيقى ثم هو مع ذلك ينشد أناشيد دينية فيها ابتهالات إلى الله تعالى وفيها مدائح نبوية فى أسلوب شعبى رقيق اختاره اختياراً خاصاً يتلاءم مع شخصيته الشعبية ، وهو بهذا كله يدعو الناس إلى الاستيقاظ من النوم ليتناولوا طعام « السحور » على أن المشاهد فى مصر أن لكل بلد طابعا خاصا لهذا المسحراتى ففى بعض البلدان المصرية والقرى يقوم بسحور الناس فرقة من موسيقى القرية أو البلد وهى الفرقة المعروفة بالمزمار البلدى ومعها طبولها وتجوب الطرقات ببيارق مرفوعة وهم ينفخون بين الفترة والأخرى بالنداء على السحور ، وفى بلاد أخرى تجوب فرقة الطبول البلدية بدون مزمار وفى بعض البلاد الصغيرة يكتفى مسحراتى الحى بدق أبواب المنازل مع مناداة صاحب المنزل باسمه :

يا عم فلان يا حبيب الصباح
يا عقد لولى فى صدور الملاح

وفى الشام يعقب المسحراتى شداة المدائح النبوية فى منارات الجوامع ، على أن المسحراتى فى مصر ينشد فى الثلث الأخير من شهر رمضان ما يسمى بالتوحيش والتوديع الذى يكرر فيه الحسرة على

قرب انتهاء رمضان والبكاء على أيامه التى ستنقضى قريبا ويتمنى لو دامت أيام رمضان وأن العام كله رمضان .

وفى الثلث الأخير أيضاً يغنى الأطفال أغان جماعية فيها توديع لرمضان والتحسر على انتهائه :

يا ام رمضــــان بيعى خلخالك
واشترى رمضـان يعمـر دارك
يا ام رمضان بيعى الطشت والابريق
واشترى رمضان لصـلاة العــيد
يا ام رمضـان بيعى الغـــلايه
واشترى رمضـان للسنه الجايه

وأغنية :

رمضان يا ابنى يا قـله صينى
ومن ضربك يا ابنى على حبة عينى
رمضان يا ابنى يا قله بنّـور
ومن ضربك يا ابنى شيـع للمأمور

وأغنية :

رمضان فايت على باب داره

نزلت دموعه زغرطوا نسوانه
رمضان فايت ع المنشيه
نزلت دموعه بلّت الملوخيه
رمضان فايت ع الجميزه
نزلت دموعه بلّت الخبيزه

وأغنية :

رمضان تحت الكوم بيلعب سيجه
لابس عبايه والعبايه جديده
رمضان تحت الكوم بيلعب برقه
لابس العبايه والعبايه زرقه

وآخر جمعة من رمضان يسميها العامة « الجمعة اليتيمة » ويحرص السذج من الناس بكتابة أحجبة فى هذا اليوم وأحسن هذه الأحجبة ما كتب وقد خطبة الجمعة ويقولون إنها للبركة .

واليوم الأخير من رمضان وهو يوم الوقفة يغنى الأطفال ابتهاجا لقدوم العيد تتمثل فى هذه الأغنية :

حنا جديد يا حنا جديد
بكره الوقفه وبعدو العيد

وأغنية :

برتقان يا كبير وصغير
بكره الوقفه وبعدو نغير

وقبل أن ينتهى رمضان يبدأ الناس يعدون لعيد الفطر عدته في الثلث الأخير من رمضان تقوم جماهير الشعب بصنع الكعك وهو أكبر مظهر من مظاهر العيد إذ لا يخلو بيت من بيوتنا من من هذا اللون من الحلوى ، ويظهر أن هذه العادة أصيلة فى الشعب المصرى واتخذها المسلمون فى القرن الأول من الهجرة بل لا أغالى إذا قلت أن المسلمين فى مصر عرفوا كعك العيد منذ دخل الاسلام مصر وبمرور الزمن تطور صنع كعك العيد تطورا كبيرا ولا سيما عند أغنياء المصريين إذ كانوا يتفننون فى طريقة صنعه وتشكيله ونقشه وحشوه ونحن نعلم أن بعض الأغنياء يحشون الكعك بقلوب الفستق واللوز وبعضهم يحشوه بالحلوى .

وبانتهاء رمضان يبدأ عيد الفطر وتسميه العامة «العيد الصغير» ولعيد الفطر مكانة خاصة فى قلوب المسلمين فى جميع الأقطار إذ فيه يفرحون لأنهم قاموا بتأدية فريضة الصوم على خير ما يؤديه المسلم المؤمن ، فابتهاج الناس بالعيد هو فى الحقيقة ابتهاج كل من أدى واجبه نحو الله ونحو نفسه ، هذا هو معنى عيد الفطر عند كل عاقل مفكر ولكن جماهير الشعب لا يفهمون العيد على هذا النحو

إنما هو عندهم لون من ألوان الإنطلاق فى الإنفاق ولبس الجديد من الثياب وصنع الكعك وألوان الفطائر والحلوى والذهاب إلى دور اللهو ويهتم الأطفال بلعب المراجيح .

وفى مصر والشام يخرج الناس إلى المقابر لزيارة موتاهم وتوزيع الصدقات وتنفرد الشام بأن يخرج رجل قبل العيد بيومين يسمونه « رجـــل سخره » معه حمار مدرع بالودع والخرز والأجراس يستجدى الناس بالرقص ويضحكهم بحركات حماره يقال له « جحش العيد » وكذلك يخرج فى أيام العيد ولدان قد صبغوا أجسامهم بالسواد وعلى رؤوسهم الطراطير يستدرون إحسان الناس بالرقص والقفز ويقال لهم « بيضه بيضه » وبعد انتهاء العيد يأخذ الشاميون العازمون على الحج أهبتهم ويسافرون للحجاز لأداء فريضة الحج ويحتفل أحبابهم بوداعهم . وفى مصر أيضاً يحتفل بعد العيد بأيام قلائل بسفر المحمل والكسوة الشريفة إلى الحجاز .

ولا يكاد يفيق الناس مما تكبدوه فى الإنفاق فى عيد الفطر وخاصة شراء الملابس الجديدة والإنفاق بل التغالى فى عمل الكعك حتى يحل بهم عيد الأضحى أو كما يسميه العامة « العيد الكبير » فيحرص الناس أيضاً على لبس الجديد والتوسعة فى الإنفاق وتتغالى معظم الأسر الغنى والمتوسط فى نحر الضحية وهى خروف اشترى خصيصا لذلك ويحرص بعض العامة وخصوصا الريفيين على أن يغمسوا أيديهم فى دم الضحية ويرسمونها على أبواب منازلهم وتظهر اليد مفتوحة الأصابع وهذه العادة يفعلونها بدون تفكير ولا

يعرفون لها سببا وفى رأينا أنها ترمز إلى أن التضحية بالدم ـ أو أن أصلها رمز لأصحاب الكساء الخمسة ، الذين هم أهل البيت : الرسول وفاطمة والحسين والحسن وعلى وهم الذين اعتبرهم الرسول أهل بيته يوم اجتمع مع قساوسة نجران للمباهلة وتقضى مراسيم المباهلة أن يحضر القائم بالمباهلة كساء يغطى به أهل بيته ثم يستنزل لعنة الله إن كان كاذبا . وجرت هذه العادة بنقش الكف بالبياض بمناسبة العودة من الحج وبالدم بمناسبة الضحية فى العيد وكذلك تباع فاسوخات على شكل يد بخمسة أصابع وهذه العقيدة منتشرة فى جميع بلاد العالم العربى.

وهناك أعياد أخرى يحتفل بها الناس غير هذه الأعياد الدينية وهى عيد شم النسيم وهو اليوم الأول من أيام الخماسين وفى اعتقاد الناس أنه بداية الصيف وللعامة فيه عادات منها أكل البيض الملون وأكل الأسماك المملحة وخروج أهالى المدن إلى المنتزهات وللريفيين عادات زيادة على ذلك وهى تعليق البصل على أبواب منازلهم وليس لهذا من تعليل إلا أن هذا النبات وهو نبات مصرى قديم قد تم محصوله ونضج، والمصريون كانوا يحتفلون عند جنى محاصيلهم المهمة فنراهم يفرحون عند حصاد القمح بعمل المطير والمشلتت ويتناولونه مع العسل ويشير إلى هذا النوع من الطعام الشيخ عامر الأنبوطى :

أكل المطبق مع الفجر بالشهد والسمن سايح
اللى يجيبه له أجر فى جنة الخلد رايح

وتتمثل الفرحة أيضاً فى الأغنية :

ضم الغله عود على عود

واللى زَرعها الواد مسعود
وأنا وراه بسَّلى

وكذلك عند حصاد الذرة يغنون :

يابو الشرارب بيض ياللى خزينك زى ليالى العيد
يابو الشرارب حمر ياللى خزينك يطول العمر

والأغنية :

ولا يزرع الفلاح أطول من الدره
دره بشاقى والكيزان كبار

وعند زراعة القطن يطبخون « رز بلبن » وهو تعبير عن الفرحة وفى حصاده ويسمى جمع القطن يغنون :

ياقطن بربر وانا امسح لك برابيرك
بكره الخواجه يجيب الحمر ويجى لك
من العصر للعصر نجمع قنا طيرك

والأغنية هنا تشير إلى حضور الخواجه لأن الأجانب هم الذين كانوا يتجرون بشراء القطن ، والحمر كناية عن الذهب وهذا دليل على قدم الأغنية لأن التعامل بالجنيهات الذهبية قد بطل منذ وقت طويل .

ويردد الأولاد وهم يجمعون القطن :

إيدك فين ع اللوزتين

وفى لبنان يهتمون بتلوين البيض فى يوم شم النسيم ولكن فى يوم السبت الذى يسبق أحد القيامة ويقدمون البيض الملون للمهنئين بالعيد مع الكعك وذلك عند طائفة المسيحيين . وتنتشر عادة اللعب بالبيض ويسمون هذه اللعبة « المداقسة » والمداقسة ضرب بيضة ببيضة أخرى من أحد طرفيها .

وكذلك يحتفل أهل مصر والشام بيوم الغطاس وهو تذكار معمودية المسيح وفى السريانية يسمى « دنحا » أى الإشراق وهو نزول الروح على المسيح بشكل حمامة . ويحتفل الأقباط بهذا اليوم على أنه عيد دينى ويحتفل المسلمون به على أنه عيد قوى قديم وأهم ما فيه من تقاليد مص القصب وبعض الفاكهة الأخرى كالبرتقال واليوسفى ويشير إلى ذلك المثل « فى الغطاس مص قصب والطبيخ قلقاس » ويشير المثل إلى أنواع بعينها من الفاكهة والطعام فقد أشار إلى القصب ولم يشر إلى المو الح بكل أنواعها مما يشعر بأن هذه الأنواع من الفاكهة دخيلة على المجتمع الآن . كذلك الإشارة إلى القلقاس دون سائر الخضروات تدل دلالة واضحة على أن هذا النبات النشوى العريض الأوراق الذى ينبت نبتا حسنا فى تربة مصر هو نبات أصيل به والقصب والقلقاس لاشك أنهما يكونان فى أوج نضجهما فى موسم الغطاس .

ويحتفل المسيحيون فى مصر ولبنان فى هذا اليوم بعمل الحلويات ويعتقدون أن فى هذه الليلة تسجد الأشجار للمسيح إلا شجر التوت وشجر التين لأن التوت عنيد والتين لعنه المسيح ويعتقدون كذلك أن المسيح يمر فى البيوت بطريقة لا ترى .

وفى مصر يحتفل فى النصف الثانى من أغسطس بوفاء النيل ويسميه العامة « عروسة البحر » وعروسة البحر قديمة من عهد قدماء المصريين وقد حرمها عمرو بن العاص بموافقة عمر بن الخطاب وخبر ذلك أشهر من أن يعاد والمهم هو الاحتفال التقليدى بهذا اليوم فكان فى العصر المملوكى يحتفلون بزواج خليج الدكر على بركة الرطلى فكان يخرج العامة بالموسيقات وتصدح النساء بالزغاريد وتعلق القناديل وتزين البيوت والحوانيت بمختلف الزينات احتفالا بزفاف الخليج على بركة الرطلى .

وبقيت لنا أغنية قديمة من احتفال وفاء النيل وهى يحدوها حاذ ويرد عليه الأطفال :

— البحر فاض وزاد

— أوفا لله (أى أو فى لله)

— ودار النحاس أمثلا (بناء قديم بين قنطرة القناة ومصر العتيقة — اعتاد سلاطين مصر وحكامها النزول به ومراقبة حال النيل قبل قطع السد) .

— أوفالله

— ده شيء من السنه للسنه

— أوفالله

— وتعيشوا إلى كل عام

— أوفالله

— والكريم يحب الكريم

— أوفالله .

— وله قصر فى الجنه عجب

— أوفالله

— وعمدانه جواهر أيتام

— أوفالله

— والرطب إذا جنى

— أوفالله

— لا يشبه لصيص البلح

— أوفالله

— وله ألف طاقه تنفتح

— أوفالله

ـ فى كل طاقه سبيل

ـ أوفا لله

ـ والجنه مقام الكرام

ـ أوفا لله

ـ والنار مقام البخيل

ـ أوفا لله

وتقام فى مصر عدة احتفالات دينية أخرى تسمى بالمولد وهى تعمل مرة فى كل عام لمدة أسبوع أو أكثر احتفالا بمولد ولى من الأولياء وهم كثير بمصر ـ لا تخلو قرية من القرى من قبر لولى يقام له المولد .

والمولد ما هو إلا سوق تقام للتجارة والألعاب المختلفة وتكثر فرق الصوفية الذين يقيمون لهم ولأتباعهم سرادقات يجتمعون بها ويقيمون فيها حفلات الذكر وينشدون ما يسمى « بالتخمير » وهى مدائح نبوية مثل :

لو كان مرادك تنول السعد فى الدارين

اترك هوى النفس والشيطان سوا الاتنين

وصون لسانك عن الغيبه وغض العين

وصوم وصلى وكتر من الصلى على الزين

لو كان مرادك تزور البــــدر فى ليله
صون الأمانه وبات واقف على حيلك
اوعاك تميـل فى الطريق يعجبك ميلك
ليأخروك الرجال ويقــــدموا غيرك
يا عرب يا اللى تودوا النـــاس ودونى
قالوا نعدوك معانا قلت عـــــدونى
لكن على شرط يا أمــــارة
بحور الخـــــوف عدونى
لمــا لقونى موافى العهـد عـدونى
نصبوا البـوارق وحـلفوا لم يفوتونى
إن قبلونى الرجال يانبى لنسير وياهم
ونشيل الانعـال يانبى ونخـدم مطاياهم
ونشيل لهم الاباريق يانبى وآخد وضياهم
ويـاك عسى الله يعلمونى قيام الليل وياهم
يا عرب يااللى ناديتــــونى أدينى جيت
واقف ع البـاب لمـا تأمروا لى خشيت
وبئر زمزم وطيبــه والحرم والبيت

تخلوا نفسكم معايا إن رحت واللاجيت

وأخرى :

يا سعد قول للنبي عبد الرحيم منحاش
بين الجبال ياني ومآنساه الاوحاش
يا سعد قول لعبد الرحيم
حجك قبل ولو بحاش

ويظهر هؤلاء الصوفية التقشف فى طعامهم وهو فى الغالب الخبز والدقة وهى من خليط الذرة المحروقة وتطحن ويضاف إليها الملح كما تحمل النذور إلى مقام هؤلاء الأولياء .

الباب الثالث

الألعاب الشعبية

الألعاب كثيرة ومتنوعة وللرجال لعب وللأولاد لعب وتختلف الألعاب حسب المكان فألعاب المدن غيرها فى القرية . فالرجال فى المدن يقتلون الوقت بلعب الشطرنج والطاولة ولعب الورق (الكوتشينة) والضمنة . وأشهر لعب عند الأولاد هو لعب الكرة .

وفى القرية يلعب الرجال « السيجة » وهى عبارة عن حفر يعملونها فى كمية من الرمل يحضرونها خصيصاً لذلك ويحفرون حفر تسعة فى تسعة وتسمى « تسعاوية » أو سبعة فى سبعة وتسمى « سبعاوية » والحفرة التى تتوسط السيجة تسمى « عين الدّك » وتظل خالية . وأدوات اللعب قطع من الطوب اللبن والمحروق ويلعبها اثنان يأخذ أحدهما عدد أربعين قطعة من الطوب اللبن ويأخذ الآخر مثلها من المحروق وتسمى القطعة « كلب » يضع أولا كل من الاثنين كلابه بمهارة فنية حتى ينتهى كل منهما من وضع كلابه وتترك « عين الدك » خالية ويبدأ اللعب ويسمى « الأكل » بأن يحرك أحد اللاعبين أحد كلابه إلى عين الدك وتبدأ المحاورة والمهارة

فى الأ كل حتى تنتهى . والغالب منهما هو الذى أ كل كلاب غريمه . ويكون حول اللاعبين فريق من المتفرجين ينقسمون إلى فريقين كل يشجع صاحبه .

ولعبة أخرى يقوم بها الرجال أيضاً وهى « لعبة العصا » وتسمى « التحطيب » وهى تكون بين اثنين أيضاً يقفان وجها لوجه ويمسك كل منهما بعصا طويلة ويبدأ أحدهما بأن يحاول ضرب زميله فيحاول أن يرد الضربة عن نفسه فيتلقاها بعصاه وكذلك يفعل الآخر ويكون ذلك بسرعة وخفة والماهر هو الذى يتلقى الضربات على العصا والمغلوب هو الذى تهوى على رأسه .

أما لعب الأطفال فجميعه خال من الصنعة والفن ولكن لا يفقده عنصر البهجة عند الأولاد ولا يفقده قيمته الرياضية وألعاب الأولاد دائماً يصحبها كثير من الصياح والضجيج .

فعند غروب الشمس يتجمع عدد من أطفال القرية متقاربون فى السن والأجسام يرددون مجتمعين وهم يصفقون :

طلعنا الجبل — يوحه

ننقوا سبل — يوحه

قبلتنا غزاله — يوحه

بيضه وعريانه — يوحه

قلنا لها حيدى — يوحه
حيدى الجر منه — يوحه
والحاج محمد — يوحه
بيعد فلوسه — يوحه
نعتّر جاموسه — يوحه
جاموسه محارب — يوحه
عدى م القارب — يوحه
والقارب طينه — يوحه
شغل البريمه — يوحه
والبريمه نشفه — يوحه
عدتنى طنطه — يوحه
طنطا شراقى — يوحه
فيها وز عريقى — يوحه
دبّح ولقّح — يوحه
على سواقى شاهين — يوحه
شاهين ما مات — يوحه
خلف بنات — يوحه

خلفهم تسعه — يوحه

جاهم لسعه — يوحه

ويقابلها فى لبنان :

يا حج محمد — يويو

قديش مصمد — يويو

مصمد مصريه — يويو

ملو التمنيه — يويو

تمنيه مين — يويو

عمى شاهين — يويو

شاهين ما مات — يويو

عندو بنات — يويو

بناتو سود — يويو

متل العبيد — يويو

ومثلها أيضاً يرددها الأطفال :

واحد اتنين — صلطى ملطى

آنا حكيم واللا تمرجى

آنا حكيم وداوى الناس

وادیهم حقن قزاز
أنا بدى أزورك يابى
بس بلدك بعيده
فيها عبده وحميده
حميده ولدت ولد
سماته عبد الصمد
مشاته ع المشايه
خطفت راسه الحدايه
حد يا بد يا راس القرد يا عكروته

ويغنون :

كراز الفول يا با راح منى
زعقت زعقه بحراره
جه الغفير وشيخ الحاره
كراز الفول يابا راح منى
زعقت زعقه بحريه
جه الغفير وشيخ الدوريه
كراز الفول يابا راح منى

ويغنون :

يا شمس حجى وغربى
يا محلى صلاتك ع النبى
يا شمس حجى وكلى فول
يا محلى صلاتك ع الرسول

خرسنو

وهناك ألعاب بدنية مثل لعبة « خرسنو » وسنو كلمة من اللغة المصرية القديمة بمعنى اثنين و « خر » بمعنى واحد وهى تنتشر فى مصر والشام واللعبة عبارة عن كرة محشوة بخرق قديمة أو صوف أو قطن وتغلف بقماش متين أو بالجلد وتخاط خياطة متينة وينقسم اللاعبون فريقين ويضعون فى أول الملعب حجراً يسمونه فى مصر « الميس » وفى الشام « المحجج » ويقف الفريق الذى سيبدأ اللعب حول الميس والفريق الآخر فى نهاية الملعب .

تقوم اللعبة على ست خطوات على الفريق الواحد أن يمر بها وعلى الفريق الثانى أن يحول دون نجاحه وهى :

١ ــ خر (الأول ــ وفى لبنان ورا)

٢ ــ سنو

٣ ــ شكو

٤ ــ دقو

٥ — كعكو

٦ — مشطو

ولكل خطوة من هذه الخطوات ثلاث ضربات إذا فاز بها اللاعب انتقل إلى الخطوة الثانية .

الخطوة الأولى « خر »

يقف اللاعب وظهره إلى الفريق الثانى ووجهه إلى جهـــة « الميس » يبتعد عن الميس حوالى مترين ويأخذ بيده الكرة ويرفعها إلى أعلى قليلا ثم يضربها بيده ضربة قوية ناحية الفريق الثانى .

على أعضاء الفريق الثانى أن ينتشروا فى الملعب لكى يتلقوا الكرة قبل أن تنزل إلى الأرض فإذا تلقاها أحدهم قبل سقوطها إلى الأرض خسر اللاعب حقه فى اللعب ويقولون « وقع » فى مصر و « قطم » فى لبنان فيعطى مكانه لغيره من فريقه .

وإذا ما سقطت الكرة على الأرض فيأخذها الفريق الثانى (المدافع) ويرمى بها نحو الهدف (الميس) فإذا أصابته خسر اللاعب حقه فى اللعب وحل محله غيره من فريقه وليس للفريق المدافع عن الهدف أن يحول دون الكرة والهدف فهو حق من حقوق الفريق الثانى أن يصيب الهدف وإذا اجتاز اللاعب الضربة الأولى يتقـــدم للضربة الثانية (وتسمى تانى خر) فى مصر و (تانى ورا) فى لبنان وإذا اجتازها دون أن يقع (يقطم) يتقدم

للضربة الثالثة وتسمى « ثابأت » فإذا اجتازها لعب الخطوة الثانية « سنو »

الخطوة الثانية : سنو

هى كالأولى ولكن اللاعب يكون وجهه ناحية الفريق الثانى وهو فى الأولى يكون وجهه للميس وظهره إلى الفريق الثانى وفى هذه الحالة يستحيل عليه معرفة انتشار الفريق ليرمى الكرة إلى مكان يصعب معه التقاط الكرة فى الهواء . وهو فى « سنو » يعلم كيف يضرب الكرة وإذا اجتاز الضربة الأولى والثانية والثالثة دون أن يخسر (يقع) فانه يتقدم إلى الخطوة الثالثة « شكو »

الخطوة الثالثة : شكو

ولها ثلاث ضربات وطريقة ضربة الكرة هى أن يرمى الكرة باليد اليسرى إلى أعلى ثم يضربها براحة كفه اليمنى فإذا اجتاز اللاعب الضربات الثلاث دون أن يخسر تقدم للخطوة الرابعة « دقو »

الخطوة الرابعة : دقو »

يرمى الكرة إلى أعلى بيده اليمنى ثم إنه بيده اليمنى أيضا يضرب فخذه ثم بعجلة يعود فيضرب الكرة نحو الفريق المدافع أولا وثانيا وثالثا . فاذا اجتازها دون أن يخسر يتقدم للخطوة الخامسة « كعكو »

الخطوة الخامسة : كعكو

يرمى الكرة من تحت ركبته إلى أعلى ثم يضربها براحة كفه أولا وثانيا وثالثاً فإذا إجتازها دون أن يخسر تقدم إلى الخطوة الأخيرة « مشطو »

الخطوة السادسة : مشطو

وتختلف هذه الضربة عن أخواتها فى أن الكرة تدفع بالرجل لا باليد أولا وثانيا وثالثاً .

ومن الملاحظ أنه لا يستطيع لاعب واحد أن يجتاز هـذه الخطوات كلها دون خسران ، فإن الأمر أعسر مما يتصور لأول وهلة لأن المدافعين إذا أحسنوا الانتشار فى الملعب وإذا كان بينهم من يحسن إصابة الهدف فإن اللاعب يخسر بعد ضربات قليلة، وعندما يخسر اللاعب (يقع) يتقدم الثانى فالثالث فالرابع إلى أن يأتى الدور على أعضاء الفريق فإذا وقعوا قبل اجتياز الخطوات الست عليهم أن يخسروا حقهم فى الهجوم وأصبحوا المهاجمين فيتركون جهة « الميس » ويحتلون مركز الفريق الأول ، مع العلم بأنه عندما يعود الفريق ثانية إلى الميس ليكون المهاجم يبدأ من حيث (وقع) اللاعب الأخير وليس من أول خطوة ، والغلبة للفريق الذى يجتاز الخطوات الست قبل الفريق الآخر .

ولعبة كرة الحكشة :

يقوم بلعبها فريقان ويمسك كل عضو من أعضاء الفريق عصا معوجة عند آخرها والكرة كبيرة من الجلد أو القماش السميك تحشى بالخرق أو الصوف أو القطن أو التبن وتحصب بالدوبار حصبا متينا .

ويقف الفريقان فى وسط الملعب وكل عضو من الفريق يضرب الكرة بالناحية المعوجة من العصا فى اتجاه ناحية الملعب ويسمى آخر الملعب « الميس » فإذا استطاع الفريق أن يجعل الكرة تعبر الميس فيخسر الفريق الآخر .

وهذه اللعبة تشبه تماماً لعبة الهوكى .

لعبة استغماية : ويسميها الشاميون « التخبؤ » أو « الدنك »

وهذه اللعبة كثيرة ومتنوعة ومشتركة والمبدأ فيها واحد . نذكر منها :

استغماية « هج نار ، هج نار » :
وتسمى فى الشام « الدنك »

اللاعبون فريقان وعددهم متساو ولكن لا يحدد ويحسن ألا يكون الفريق أقل من أربعة أو خمسة ، ويقترعون ليروا من الذى ينزل ومن الذى يتخبأ ولكل فريق رئيس :

خطوات اللعبة وقوانينها :

يجلس الفريق النازل على الأرض بشكل دائرة كبيرة ، ويقف في وسط هذه الدائرة زعيما الفريقين (ويسمى الزعيم في الشام : الروسية) أما الفريق المهاجم فيذهب ليختبيء ويعصب زعيم الفريق المهاجم عيني زعيم الفريق النازل عصبا شديدا ويتأكد من أنه لا يرى .

يبقى معصب العينين فترة تكفى ليكون الفريق المهاجم قد أحسن الإختباء ، ثم أنه يرفع عن عينيه المنديل ويتركه حرآ طليقا ليذهب ويكتشف أعضاء الفريق المختبيء وعند رؤيته أحدهم يصرخ : هج نار ، هج نار ،وفي الشام يصرخ: حريق حريق . وهذا دليل على أنه رأى واحدا منهم وعليهم إذن أن « ينزلوا » أى أنهم خسروا وفي تجواله ليفتش عن مكمنهم يوافق زعيم المختبئين ويقول

بندلوش بره بندلوش بره

وفي الشام يقول :

إن كنت هون روح روح

بعدو عن شريكاته

ومن نغم صوته ومن قرب صوته إليهم أو بعده عنهم يعرفون أن خصمهم قريب منهم فيختبئون ولا يتحركون ، فلا يرفع أحد

رأسه أو يمد يده أو يتكلم . وفى الشام يناديهم بالعديه .

تخبا مليح تحت الشيح

جاي كلب مليح

أما إذا بعد زعيم الفريق النازل عن مكمن الفريق المهاجم ، وإذا أمنوا أنه لا يراهم هبوا من مكمنهم وهجموا على النازلين فى الدائرة وأوسعوهم ضربا ولكما ورفسا . وليس على النازلين أن يقاوموا .

عندما يهاجم النازلون يصرخون: هج نار ، هج نار وفى الشام الدنك ، الدنك فيسمعهم زعيمهم ويركض ناحيتهم ، فإذا وقع نظره عليهم قبل أن يختبئوا ثانية صرخ بهم هج نار ، هج نار ، وفى الشام : حريق ، حريق .

وفى هذه الحالة ينزلون ويذهب الفريق النازل ليختبىء وهكذا .

ومن الألعاب المحببة إلى الأولاد أيضاً القفز على الظهر أو الركوب ومنها :

شبنزل وفى الشام زحنا العنزة :

عدد اللاعبين غير محدد ، ولكن يحسن أن يكون عددهم كبيرا .

يقترعون ليروا من ينزل آولا . النازل يقف عند أول الملعب ويضع يديه على ركبتيه ويحنى ظهره .

يأتى النازل مع حكم يتفقان على وصف الحمار وفى الشام يتفقان على اسم عضو من أعضاء العنزة ويبقى الاسم سراً بين النازل وبين الحكم .

يتقدم اللاعب الأول ويقفز من فوق ظهره قائلا :

شنزل ولا تجنزل إلا بالحمار

وفى الشام يقول : دبحنا العنزء

ويأتى اللاعب الثانى فيقفز ويقول :

شنزل ولا تجنزل إلا بالحمار الاعمه

وفى الشام يقول الثانى : سال الدم

ويأتى الثالث ويقفز وهو يقول :

شنزل ولا تجنزل إلا بالحمار الازعر

وفى الشام : ع الجنبين

ويستمر الخامس والسادس والسابع إلى أن ينتهى الفريق وهو يقفز ويسمى صفة من الصفات حتى يذكر اسم الصفة المتفق عليها وإذا ما ذكرت نزل الفريق الثانى مكان النازل .

ومن شروطها ألا يذكر عضو صفة ذكرها آخر قبله .

وهناك ألعاب أخرى كثيرة ومختلفة فإذا ما جمعت ودونت لكانت ميدانا خصبا لتراثنا الشعبي .

وهناك أيضاً ألعاب تلعبها الفتيات منها :

الغراب النوحي :

وهي تتكون من فريقين من البنات كل فريق له رئيسة أو زعيمة وتتقدم الزعيمة فريقها بادئة الهجوم على الفريق الثانى وهي تقول :

أنا الغراب النوحي ، النوحي

أخطف واروح على سطوحي

وتحاول أن تمسك واحدة من الفريق الثانى ، ويحاول هذا الفريق الدفاع وتقول زعيمته :

أنا امهم وحاديهم

وان عشت لربيهم

وإذا لم يفلحن فى الإمساك بواحدة من الفريق المدافع يحاولن الكرة من جديد والزعيمة تقول :

أنا الغراب الشلبي الشلبي

لاخطف واروح على بلدى

فيرد الفريق المدافع وهن يقلن :

أنا امهم وحاديهم

وان عشت لربيهم

ولعبة أخرى وهى تضــــع بنتا ظهرها إلى ظهر بنت أخرى ويلتف ذراعيهما وتنحنى واحـدة فتحمل الأخرى على ظهرها فيكون وجه الأولى للأرض والثانية إلى السماء وهما تقولان :

فوقك إيه

فوقى ربى

تحتك إيه

تحتى حمص مقلى

وتنعكس العملية فتنحنى التى كانت إلى السماء وترتفع من كانت إلى الأرض .

ومن الألعاب أيضاً لعبة يلعبها البنين والبنات معا وهى أن يتجمع بعضا من البنين والبنات معا ولا يقل العدد عن عشرة وقد يكثر : يتشابكون بالأيدى ويكونون على شكل دائرة ويقف فى وسطهم من هو أكبرهم أو أكثرهم حفظا ثم تدور الحلقة حول الواقف فى الوسط وهو يحدوهم فى أسئلة وهم يجيبون :

— حللو

فتقول الحلقة — يا بللو

— جمالك فين

— ع القنطرة

— بياكلوا إيه

— حشيش ودره

— بيشربوا إيه

— قطر النـدى

وفى الشام يسمونها . يا حبلمو يامبلمو وهى تحدث كما تلعب فى مصر تماما مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

فيقول الوسطانى .

— ياحبلمو

— يا مبلمو

— وين الجمال

— تحت القنطرة

— شو أكلهم

— حب الدره

— شو شربهم

— قطر الندى

— يا عمى القعق

— جوزنى بنتك

وعند ما يصلون إلى مكان الابتداء يتركون أيدى بعضهم المتشابكة و يقفزون قفزاً و يصفقون قائلين :

— حب الطقش

— بيفقش فقش

— بيبرى قلام الصوانه

ويذكر أهل لبنان أن هذه اللعبة قديمة وأنها بقية باقية من لعبة لها شروط أخرى غير هذه وذلك لأنها لا تنتهى بفوز أو خسارة ولا تقوم على مبدأ معين من مبادىء اللعب كغيرها من الألعاب . ويذكرون أيضاً أن ألفاظها مبهمة مما يرجح أنها بقية لعبة قديمة تعود إلى زمن السريانية والآرامية .

وغير الألعاب نرى أن الأطفال فى المساء يجتمعون على المساطب أو فى الدور ويسلون أنفسهم بذكر الحواديت وهم ينصتون لها فى شغف وحب ويميلون إلى سماع الحواذيت الدالة على الفروسية والمهارة والشجاعة ومعظم الحواديت فيها صراع للخير

مع الشر ،ويميلون إلى سماع الأحاجى والألغاز وخصوصاً ما أشتهر من قول جحا وحكاياته ونوادره . وقصص العفاريت التى تقابل الانسان وكيف يتخلص منها .

والألغاز التى يذكرونها تحتاج إلى تفكير عميق فى حلها وتروى فى لبنان بنفس الطريقة وبنفس المعنى مثل :

فلاح معه ذئب وخروف وبرسيم أراد أن يعبر النهر فى قارب لا يمكنه أن يأخذ معه سوى أحدها فقط وخشى أن يترك الخروف مع البرسيم فيأكله أو الذئب مع الخروف فيفترسه ولكنه نجح أخيرا وعبر الجميع سالمين فما هى الحيلة التى إلتجأ إليها ؟

الجواب :

عبر الفلاح بالخروف أولا وتركه على البر الآخر ثم عاد فأخذ الذئب وربطه هناك وأرجع الخروف معه إلى البر الأول ثم عبر بالبرسيم ووضعه بجانب الذئب وعاد ثالثة فأخذ الخروف .

ومثل هذه الأحجية تروى فى مصر كما تروى فى لبنان :

ومنها أيضاً :

كان لأعرابى سبعة عشر جواد أوصى بها لأولاده الثلاثة على شرط أن يرث الأكبر نصفها والثانى ثلثها والأصغر تسعها فاختلف بنوه بعد مماته على قسمتها ورفعوا أمرهم إلى شيخ حكيم

فحضر وقسم الخيول بـــين الأولاد حسب وصية أبيهم فكيف أجرى ذلك ؟

الجواب :

ضم الشيخ حصانه إلى السبعة عشر جوادا ثم أعطى تسعة منها « النصف » إلى الأكبر وستة « الثلث » إلى الأوسط واثنين « التسع » إلى الأصغر ثم ركب حصانه وانصرف .

وأيضاً :

إيشى فى الخص وعينه بتبص ؟

الجواب : البندقية .

وأيضاً :

إيشى طويل ولا يحصلاش ديل الحمير ؟

الجواب :

الطريق ؟

وأيضاً :

أحمريانه ، أخضريانه ، أصفريانه ، قدام الغز بيتمانه (والغز هم الضيوف) :

الجواب :

صنية القهوة وعليها الفناجين .

ومن هذا كثير لو أحصيناه لأ صبح مجلدا .

الباب الرابع

الزار

الزار مرض اجتماعي خطير انتشر فى معظم البـلاد العربية وخصوصاً فى طبقات العامة والطبقات المتوسطة . والزار ما هو إلا شياطين هزيلة تستحوذ على ضحاياها وتجعله يؤدى حركات عجيبة أو هو أرواح شريرة تدخـل جسد الانسان فتسبب له مختلف الأمراض . ويذكر أن الزار انتقل إلى مصر من الحبشة .

ونحن نعلم أن أرواح الزار أرواح شريرة وقد سمع الزار كثيرا وهو يغنى لنفسه فى الغابات ولكن الويل للآدمى إذا وقعت عليه . والزار يتكلم العربية وقال ليتمان أن الزار معروف فى البلاد العربية منذ زمن طويل ولعلها انتقلت الى الحبشة من بلاد العرب ولكنها فى الأقطار الاسلامية تنحصر فى بلاد قليلة ، أما فى مصر فانهم عرفوا هذه التجربة حينما ذهبوا إلى السودان وهـو واسع الانتشار فيه .

وأن أرواح الزار لا وجود لها بين تلك المجموعة الكبيرة من الأرواح والشياطين التى تلعب فى الاسلام دورا كبيرا وان الذين يحضرون الأرواح فى البلاد الاسلامية لا يعرفون شيئاً

بن الزار وعلى الرغم من هذا نجد أن تعاويذ الزار فى مصر متأثرة أثراً شديدا بالعناصر الاسلامية . ومن الصعوبة بمكان أن نحدد تاريخ ظهور تعاويذ الزار فى مصر ولا شك أنها وردت الى مصر فى عهد جديد وبما أن إدوار وليم لين لم يتحدث عن الزار فى كتابه « عادات وشمائل المصريين فى القرن التاسع عشر » فيؤخذ من ذلك أنه لم يكن معروفا عند كثير من النساء فى مصر الى عهد هـذا المؤلف .

أما أن الطبقات العامة من الشعب لم تكن تعرف شيئا عن الزار فهذا أمر لاأستطيع أن أقطع به وذلك لأن لين قد تناول الطبقات العامة بالوصف الدقيق ولكنه لايمكن الاعتماد عليه اعتمادا كليا . فقد ذكر يعقوب أرتين فى عام ١٨٨٥ « أن الجوارى المعتوقات فى الأعوام السابقة أسسن تعاويذ الزار ، أما فى الصعيد فقد كانت هذه التعاويذ فى الأعوام السبعين من القرن الماضى كثيرة الانتشار حتى أن الحكومة اتخذت اجراءات لمنعها »

وأرواح الزار فى مصر تنقسم الى طبقات ويعين ذلك تعيينا أساسياً مصدر هذه الأرواح ففى مصر توجد للزار أرواح قاهرية أى من القاهرة وأرواح صعيدية وسودانية ومغربية وعربية بدوية كما توجد الى جانبها أرواح هندية ولعل ذلك من الخطأ ويذكر كذلك روح حبشية يوجه اليها الكلام وهذا كما يظهر هو التقسيم

على حسب المناطق المختلفة وذكرت كذلك أرواح للزار مذكرة ومؤنثة وأيضاً أرواح خاصة بالأطفال .

ولا شك أن أرواح الزار هذه قد تطورت تطورات كثيرة وهى تتجول فى مصر ولا شك أنه كان يمكن الحصول على معلومات أكثر صحة وأدق لو توفر علماء الاجتماع وأولوا دراستهم لتلك البلاد التى صدرت منها هذه الأرواح كالسودان مثلا أو الحبشة وأن روحاً أو عـــدة أرواح من نفس المصدر تكون متملكة المريض (المنزار) وهذه الأرواح تسبب أمراضا لا يعرف سببها وإذا ما أريد شفاء هذه الأمراض فلا بد من إرضاء روح الزار .

وعرف أيضا هـذا المرض فى الشام ولـكن ليس له عندهم الأهمية الموجودة بمصر فيقولون عنه : أنه روح شريرة تدخل جسد الإنسان فتسبب له مختلف الأمراض أكثرها شيوعا الصرع .

ويعللون أعراض هـذا المرض بقولهم « روح بتصرعو » ويسمون أيضا هذا المرض « داى النقطة » « أى داء » ويقولون « بيوقع بداى النقطة » لأن المصاب يصرع أرضا وتتشنج أعصاب جسده مدة ثم يفيق منهوك القوى فيقولون « فارقته الروح » .

وحفلات الزار التى تقام لشفاء المرضى تقام للرجال والنساء معا وأن أفراد الشعب الذين يهتمون بالزار لا يستطيعون إقامة حفلاته نظراً لتـكاليفها الباهظة وكما يقول المثل « ثلاثة تشق بها

الدار : العرس والمأتم والزار ، فغالبا ما يذهبون إلى أماكن عامة يعمل فيها الزار ويسمى هذا المكان بالحضرة أو « الدّقة » وفى القاهرة تقام حفلات الزار حول مقام الشيخ أبو السعود الجارحى وهو قريب من حى السيدة زينب أو تلال زينهم — كل ليلة أربعاء من كل أسبوع ويؤمه عدد كبير من المرضى القادمين من جهات مختلفة فيقومون أولا بزيارة مقام الشيخ ، وبعد الزيارة وأداء الصلاة وتقديم النذور يصعدون إلى التل المجاور للمقام حيث توجد المنازل التى يقام بها حفلات الزار ومن المرضى من يبيتون بهذه الأمكنة إلتماسا للبركة ويقام بها أيضا حفلات الذكر ليلا يحضرها المرضى .

والنساء اللاتى يحترفن الزار ويقمن بعمله يسمين « كوديات » وهن يوهمن المريض أنه لو تكلم بأى شىء فى بيته لسمعته الكودية فى مكانها لأن الشيخ أو العفريت الذى دخل جسم المريض ينقل الحديث إلى الكودية ، فالزار إذن أساسه الوهم من الكودية بأن الشيخ محمد أو فلان لبس الجسم أو حضر عليه . ولابد للشفاء من إرضاء روح الزار هذا بواسطة البخور وتقديم قرابين الزار (الذبيحة) وخاصة رقصة الزار .

ولعمل حفلة زار فإن الشيخة (الكودية) تلبس جلبابا أبيض وتضع كرسيا أعد خصيصا فى وسط الحفلة تجلس عليه المريضة

وتسمى فى هذه الحالة « عروس الزار » وقد تجملت بأفخر الملابس ولبست حليا من الذهب وتأخذ الكودية ومعها مساعدات فى القراءة وإنشاد الأناشيد ويصاحبها مزمار بأنغامه الخاصة ، ولكل نوع من أنواع هذه الأسياد دقة خاصة وتأتى الشيخة التى يمكن أن تصبح الشيخ لأنها عريفة وتعرف الطريقة وبأنغامها يشفى المريض والشيخة تعرف الأناشيد الخاصة بروح الزار التي تصلطت على المريض فتبدأ بالغناء الموافق له . وفى بعض الحالات تبدأ الشيخة بتلاوة أغنية قاهرية ثم تستمر فى الأغانى الصعيدية والمغربية والبدوية وأخيرا بالسودانية وبمجرد أن تغنى الأغنية الصحيحة التى منها يتمايل المريض أو يخرج عن صوابه فتستمر فيها ولكل أغنية عدة تعاويذ ولكل أغنية مجموعة خاصة من الثياب ويمكن أن تكون ثياب خاصة بالرجال أو النساء أو الأطفال ويصبح المريض فى حالة نشوة وبعد ذلك تتكلم الشيخة باسم المريض .

ومن الآلات التى تستعمل فى الزار الطبل والدربكة والطار وهو من جلد الماعز وكذلك الرق ويقال إنه مصنوع من جلد السمك وتستعمل أيضا البازه والغابة وهى من الغاب ، ويعزف على هذه الآلات الموسيقية صبيان الشيخة .

ويختلف وقت الحضرة حسب مقدرة المريض فإذا كان من

الأغنياء طالت حفلتهم إلى سبعة ليالى وفى الليلة الكبيرة تنحر الذبائح فى الصباح .

وعند الضرب على الدف وارتفاع صوت المزمار فإن الدجاج المعد للذبح بجانب الشيخة يصرخ ويصبح فى حالة غير حالته العادية فيقول الحاضرات « دستور يا أسياد ، مـــدد يا اهل الله ، نظره يا اسياد »

وفى الغالب يكتفى بليلة أو ليلتين على الأكثر وقد جرت العادة أن تكون الحفلة فى المساء وتنتهى فى اليوم التالى .

أما حفلات الأماكن العامة فإنها أبسط بكثير وتستمر ساعات قليلة ومن أهم الأماكن فى القاهرة غير مقام أبى السعود الجارحى يوجد بحى زينهم وحى العشماوى وسيدى المغربى فى بولاق وفى سيدى نجم الدين وفى سيدى الزهار فى حى القللى .

أما علاج هذا المرض فى الشام فلم يكن بعمل الحفلات كما فى مصر ولكن اشتهر عندهم أشخاص لمداواته وأيضا بطريق الوهم ويسمون هذا المداوى بالشيخ الذى يأمر المريض بالنوم أرضا على بطنه وأن يسترخى ويسلم أمره إليه . ثم إن الشيخ يتدثر بعباءة ويتمتم بصلوات وأدعية ويضرب الأرض بعصا خضراء من شجر اللوز وهو يقول « اخرج منه — اخرج من إبهام رجله — اخرج يا ملعون — وداخل فى الدجاجة السوداء » . وبعد هذه

القراءات وهذا العمل يرفع الشيخ الدثار عن المريض الذى يكون فى حالة استرخاء . ويشفى بعد ذلك .

حفلة زار

فاتحة الحفلة :

الصلاة عليه ، صلوا عليه النبى العربى ، صلوا عليه

السيد الكبير

مامه الهدى ، آه يا مامه ، بدر التمام يامحمد ، نصبوا الكراسى لمامه ، آدم شمع مامه ، يا الله السماح ، آه يا مامه ، صاحب العوايد مامه ، صاحب الدبايح مامه ، طلعم اسمك يا مامه

نصبوا الميدان على مامه ، وحياتك يا يوسيه

نصبوا الميدان ، آه يامامه ، وحياتك يايوسيه

نصبوا الميدان ودبايحه ، وحياتك يا يوسيه

نصبوا الميدان وعوايده ، وحياتك يا يوسيه

ابنه

آه يا زهر الورد يا مامه وعلى البستان يا يوسيه ، آه يا زهر الورد يا مامه وعلى البستان يا سيه ، أحب

مامه وعلى البستان يا سيه

أخت مامه

مستغيثة نصبوا الميدان على مامه ، مرحبا بك
يا يوسيه ، لابس الكوفيه ، والعقال يا يوسيه
مدلع ياسلام ، والشمع شمعك يا سلام ، مستغيثه ودوا وديه
ست عظيمه ، ودوا وديه ، وست كبيره ودوا وديه
ست بملايه ، ودوا وديه ، مرحبا بها ، ودوا وديه
ودباعك ودوا وديه ، وعوايدك ودوا وديه

ياسيه

واديه واديه على بيت ممه ، وادى واديه ، غنى وغنوا له
رومنجدى ومرومه فى طوله ، ود منجدى فى حلاوه
عيونه رو منجدى ، حلوا المطايا يا سيه يا لابس المطايا
ياسيه زرعك ع السيل والمطر يا سيه

أخت ياسيه

سلام على ام غلام ، يا مرحبا بام غلام ، أول سلامى على ام
غلام ، يا مرحب بام غلام
ردوا السلام على ام الغلام ، آيواى وآييه يا اخت يوسيه ،

يا ام الغلام

يا بنت مامه يا ام الغلام ، مامه أبوك يا ام الغلام يوسيه ، أخوك يا ام الغلام يا ام الغلام

والعفو منك يا ام الغلام بينى برهانك يا ام الغلام

واشفى عيانك يا ام الغلام ، راخيه اللتام يا ام الغلام

والطبل طبلك ايواى وآييه ، والليلة ليلتك يا ام الغـــلام ، ايواى وآييه

دير بلاله وزير مامه

دير بلاله يا وزير مامه ، مستغيثه ام مامه

أخت الوزير

جيته عمايه لابســه الملايه ، مرحبا ويايه ، ومرومه برهانك يا مرومه يا هوه

سيد مصرى

ارضهم يا سيدى ، يا الله الرضا وعبايتك يا سيدى

يا الله الرضا وعوايدك يا سيدى ، يا الله الرضا ودبايحك

يا سيدى يا الله الرضا ، سيد عظيم ، يا سيد يا الله الرضا

للسيد

بنى مامه ياهو ، يا بنى مامه ، سلطان يا بنى مامه ، ويرجى فيه الرضا الأول يابنى مامه وشمعك يا بنى مامه .

للمذكور أيضاً

العب يا سلطان فى بيت الغلام فرحك يا سلطان
شمعك يا سلطان فى بيت الغلام ، دبايحك يا سلطان
فى بيت الغلام ، ليلتك يا عجبان فى بيت الغلام

أخته

يا ام الورايد وردى عقبال نهارك والعبى وردى ، شمعك قايد وردى ، عقبال دبايحك وردى ، ست عظيمه وردى ، ست كبيره وردى

ممونه

مرحبا يا ممونه ، ممونه شمعك يا ممونه .
ليلتك يا ممونه زبده ومدهونه ياممونه عتر ومدهونه ياممونه ياورى ولبسه الزعفران ودبايحك ولبس الزعفران وشمعك ولبس الزعفران

روم نجد

روم نجد اشطح واتمايل ياروم نجد ، يالابس سيفك ماحى

ضيفك ياروم نجد ياسيه ، مدلع فى الميدان ، لابس عبايه فى الميدان،
مكحل عيونه وراخى شعوره يا سلام

أخت روم نجد

رمانك يامرومه ياهوه رمانك يامرومه ياهوه

كرسيك فى الجنينه نصبوه أخوك روم نجد ندهوه

رمانك يامرومـــــه طاب وكلوا منه الأحباب ، دياشك كبير دعوه

شمعك آهم قدوه واسمك آهم ندهوه

السودانى

موالى ياموالى يا ابو العباس يا سلطان الرجالى ياحامى الرجالى

يا ورى بيه يامرحبا بك ياورى بيه يامرحبا

يالابس الياقه والكوفيه على العبا مرحبابك

ياورى بيه مرحبابك مكه بلادى والحبشه منزلى

مكه بلادى والسودان منزلى اشطح يارين وهات رينه

يا هوانم يا اولاد الحبش يامرحبتين يا اولاد الحبش حبشيه وجيه من الحبش

سفينه اخت سلطان بحريه

الصلاة على النبى يامشا الله سلطان بحريه يامشا الله

سفينة البحر عوامه تضحك وتلعب فى البحر عوامه

سمكه بتلعب فى البحر عوامه

ولاج العبد بتاعها

ولاج يا ولاج مرحبا ياعبيد الاسياد يا الاربعه وتوابعهم الرفاعى معهم والكيلانى معهم والسيد معهم والدسوقى معهم ، يابو محمود يا حنفى وقاضى الحقيق سيدى على والمتبولى ابو خليل وابو العلا حامى القنديل والطشطوشى والشعراوى والعشماوى والأنبيا والأوليا والست عيشه النبويه والإمامين وما بينهم السادات الأهليه والسادات البكريه والسادات الوفائيه .

لعب ولاج

دلكتك يادلوكه ، يا مرحبا بالدلوكه ، وادى لعب الدلوكه ، عدى البحر على دراعه طلع النخله بدماغه ، يافارس بين اخواته

العب يادنجه يامامه ولاج سته شمعه فى يده ، ولاج سيده ، شمعه ، فى إيده مرحب يادنجه ، فرحك يادنجه ، اسمك يادنجه

العب فى الملعب ياغالى حبشى والا سودانى ، ولاج مامه قدامى ، ولاج ياسيه ، يا غالى ولاج روم ، نجد قدامى ، مرحبابك

ياغالى ، العفو منك ياغالى من الصعيد الجوانى .

أم الولاج

دبابى سلكينه ، يا سكان بورنو ، سلاطين بورنو . ساكنين بورنو ترنجه مكانك فين .

باترنجه مكانك فين، ياام الولاج مكانك فين

العربان

عرب العربان يا زين عرب الهلاليه .

عرب العربـــان يا زين وابايعهم شنويه

يا اخت العربى يا دليـله

يا اخت العربى يا سليمه يا اخت العربى يا وريره

على الفللى ندهو لمامه صفرات وراده

على الفللى صاحب العاده صفرات وراده

على الفللى يا شريف مامه صفرات وراده

على الفللى يا صاحب العاده صفرات وراده

على الفللى يا صاحب الشمعه صفرات وراده

على الفللى يا صاحب البركه صفرات وراده

على الفللى يا صاحب الليله صفرات وراده

أختـة

شجر الغلام يا نصاره هئ" ويا شجر الغلام ارضى
على شجر الغلام ست عظيمه ، شجر الغلام صاحبه
عاده شجر الغلام ارضى على"

سيد نجد

روم نجدى ودوا ودية ، وحبايه ودوا وذنه
صاحب العاده على ودوا وديه ، ذبايحه ودوا وذيه
على شمعه واسمه حكمه قاسى روم نجدى
سيب عينى وامسك غيرى يا روم نجدى

عويشه

يا عويشه لله يا مغربيه يا عويشه لله عقال يومك
حلق عويشه على الخد نادى حزام عويشه
على الخصر ليه خلخال عويشه ر"نه برنه يا عويشه لله
يا مغربيه يا عويشه لله ارضى على" ، يا عويشه لله
من الغرب جيّـه ، ياعويشه لله ، أرضى على ، من تونس جيّـه
من مكه جيه ، من غرب جيه وست عظيمه

مغربى

شيء لله يا عبد القادر ، يا مدرك يا كيلانى أدركنا

يا أبا صالح يا ظريف المعانى عبد القادر وادركنا

من الشرك خلصنا ، يا صاحب الوادى اسعى

صاحب الشربه الربانى عبد القادر فى الحضره متعمم عمه خضره

شيء لله رب القدره ، يا صاحب الوادى أسعى

صاحب الشربه الربانى عبد القادر يا منصان يا ماله

شربه وبرهان يكشف على السقيم عيان

صاحب الشربه الربانى عبد القادر قال يا هو

يا صاحب الطريق خيوه ، صاحب الشربه الربانى

زفة الخروف

يقال فى ذبحه :

يا شمع الليل واديه ، قادوا شمعك على العدا ياللى

نصبوا الميدان على عمه ، هب النسيم علىّ يا سيه

واداى يا سلام على عمه سلام على رومنجدى سلام

واللينا يا دياش ، ما علينا يادياش

وبعد ذلك :

سلام سلام عافيه وبرهان

سلام سلام على فرحه

سلام افرح بالدم يا منزوه

العب بالدم يا منزوه

وقت الأكل :

سفره وداده يا اسيادى عقبال العاده

سفره وداده يا صاحب العاده

يا مرحبه فى مرحبه برومنجدى يا مرحبه فى مرحبه

بالسيد يا مرحبه فى مرحبه يا عريس يا جديد

يا مرحبه فى مرحبه يا مرحبه

يا مرحبه فى مرحبه ، إيش ما طلبت نجيب يا مرحبه

المبخرة :

اتكلنا على الله والنبي الفاتحه لعمر وعثمان وعلى

والعشره الكرام المتدركين بكل ولى والحجره وطايفين

بالحجره وملوك السما وملوك الأرض والشهداء والصالحين

واللى انقفل عليهم الدرب وملوك البر وملوك البحر

واخونا يجعلهم راضيين عنا بالرضا والسماح

واهل السماح يا اسيادى كانت ملاح

الفاتحه لستى سفينه وسيدى محمد الغواص

الفاتحه لستى سفينه صاحبة الليله العظيمه وصاحبة الوجبه العظيمه

الفاتحه لسكان الغرب عويشه لله

ويوسف حله ورو منجدى وروى والسادات البكريه

والخضر والياس وابو العباس المرسى.

الفاتحه لسياده ريمه سلطان الحبش سلام لهم وعليهم

وكان الفاتحه لسلطان الحبش كبير مع صغير شىء لله لهم. الفاتحه

ختام

تختم هذه الأناشيد عادة بكلمات يسمونها التوحيد وينشدون بعده مدايح فى الرسول والأولياء

أما التوحيد:

يا للى قريت الهجايه والألف والميم

ياهل ترى ربنا قبل آدم كان يخاطب مين
ذاته تخاطب صفاته الحق بالتمكين

المديح :

يا أهل طيبه أنا لىّ عندكم واحد كامل مكمل
مازيوش ولا واحد — طلبت منه الشفاعه فى نهار واحد
قال وعزة ربى وجلاله ما فوت من أمتى ولا واحد
يعنى يصيب ايه إن مدحتوا النبى الهادى
يشفع لنا من نار جهنم حطبها وقادى
يشاور عليها يصبح شررها نادى
محمد الزين لما شق فى الجنه
داس ع البساط وقال له الحق اتملا
مكتوب على خد النبى حبيبى شامه وفيه جنه
ان شافها المتقى عقله الزكى انجنا
يابو عيون سود ياتبى وخدود حمر
لما عيّن يوم القيامه يا حبيبى يشفع لنا غير جنابك مين
وسر سورة تبارك فيها حرف من يسن

تخلى بالك معايه فى يوم الشيل لما اعين

مديح آخر صعيدى :

والنبي صلم عليه نبي عربى صلم عليه أفضل

الصلا عليه جد الحسين صلم عليه

والعنكبوت عشش عليه صلم عليه

الرمل سبح بين يديه رب العباد صلى عليه

نبي عربى صـــلم عليه

مديح مصرى :

قلبي يحب النبي واللى يصلى عليه

قلبي يحب المصطفى ألفين صلا عايه

الشمس ويا القمر يسلمو عليه

النخله انخضعت للنبي

رب العباد صلى عليه

قلبي يحب المصطفى واللى يصلى عليه

مديح السيدة :

يا بنت بنت النبي جالك هزيل عيان

وقلبه مولع وطالب من الكريم احسان

وحق سورة ألم نشرح مع الرحمن

نظره بعين الرضا لاجل النبي العدنان

سلطان الغرب يا مغربى ، نورت الغرب يا مغربى

ياست الغرب يا مغربى ، انزلوا على التوحيد لاجل النبى

مديح السيد البدوى :

السيد الجيد اللى دخل طنطا ملاها نور

وجت له الأجازه من اللى فج منه النور

وحق سورة تبارك والضحى والنور

توابع السيد اللى عليهم نور

مديح الدسوقى :

يا سيدى أبا العينين يا دسوقى لك نوبه وابوك نوبه

ولكم صواوين ع البرين منصوبه

يا اللى حميت امك وهى بنت مخطوبه

الباب الخامس

العقائد والخرافات

يعتقد أهل البلاد العربية بالخرافات اعتقادا عظيما وهى كثيرة وتختلف من قرية إلى أخرى ومن بيئة إلى أخرى وقد حرصنا أن نذكر ما نعتقد أنه مشترك عند أكثر العامة فى مصر والشام وأكثر هذه الخرافات اعتبارا الاعتقاد بالجن ويقال إن الجن أصلهم سابق على آدم ويؤمن الإنسان القديم بأن العالم المحيط به تسكنه أرواح لا عدّ لها ولا حصر ، وكائنة فى جميع مظاهر الوجود ، وأن هذه الأرواح طبقة من الكائنات تتوسط بين الملائكة والإنس وتقل عنهما فضلا ، خلقت الجن من نار وتستطيع أن تتشكل بأشكال الأناس والبهائم والوحوش الخيالية وتختفى عن الأنظار . والجن يشربون ويأكلون ويتناسلون مثل البشر ، كما أنهم عرضة للموت وإن كانوا يعيشون أجيالا عديدة . والجن نوعان ، الأول منها للخير والثانى للشر ، وهمّ الإنسان أن يتقى الأرواح الشريرة أو أن يسترضيها لتكف عن أذاها . ومن أنواع الجن : العفريت وهو الذى يتشكل بالإنسان أو الحيوان ويظهر فى المكان الذى مات به إنسان قتلا أو ميتة غير طبيعية كالحريق أو الغرق ، والمارد وهو

الذى يظهر فى شكل نيران تجرى فى الحقول والصحارى والشيطان وهو أكثر خطرا من العفريت وأكثر دهاء وحيــــلا ولذلك يصفون الإنسان الذى يتصف بالدهاء والحيلة بأنه شيطان . أما الجنى فهو الذى يسكن الترع والأنهـار وهو الذى يحـاول إغراق الآدمى فيها .

وتظهر فى هـذه المعتقدات والخرافات محاولة الإنسان الأول البريئة لتعليـل الكون والوجود ولمعرفة الأسباب والعـلل . فان الجنون روح شريرة ، والصرع روح شريرة تدخل الإنسان والمرض قصاص وتأديب وافتقاد .

ويظهر فى المعتقدات والخرافات إيمان الإنسان بثلاثة مبادىء ساذجة : أولهـا أن هنالك تعاطفـا أو تجاوبا سحريا بين الأشياء المتشابهـة . فإننا فى مصر إذا التقى مسافر فى الصباح بامرأة تحمـل جرة فارغة فإنه يتشاءم وقد يعدل عن سفره فى هذا اليوم وإذا كانت الجرة ملآنة فإنه يستبشر بالخير ويمضى فى سفره ويحدث مثل هـذا أيضا فى الشام ويزيدون فى هـذا التشاؤم أن الإنسان إذا التقى فى صباحه بقطيع من الغنم فيومه سيكون يوم غنم وفوز ومسرة وإذا التقى بماعز فيكون يومه يوم شؤم عليه لأنهم يشبهون الماعز بالشياطين فى حركاتها وسكناتها .

ويتشاءم الناس فى مصر والشام من : نعاب البوم قرب منازلهم ،

فهم يعتقدون أن نعيب البوم نذير الموت أو حلول مصيبة كبيرة ويقولون فى مصر عند سماع صوتها « فال الله ولا فالك » وفى الشام يرددون « سكين ؛ ملح » ويرددونه سبع مرات .

وإذا عوى الكلب عواء خاصا يتوقعون شرا أو ينتظرون كارثة ستحل بهم لأن فى اعتقاد المصريين أن الكلب لا يعوى هذا العواء إلا إذا رأى عذرائيل .

وقتل الكلب والقطة أو ضربهما ليلا مجلبة للشر لأن الاعتقاد أن الشياطين تتقمص فى شكل قط أو كلب فمن آذاهما آذته الشياطين وانتقمت منه .

لا يطفأ المصباح فى غرفة المحتضر إذا مات المحتضر ولو بقى مضاء النهار التالى كله حتى يفرغ زيته وينطفىء من تلقاء نفسه . وإذا طفىء المصباح فهذا نذير بأن فرداً آخر سيلحق به .

لا يخطى الميت ، فإن من تخطاه مات ويمنعون القطط من خطو الميت فإن ذلك يسبب مايسمى بالكابوس فى الغرفة والكابوس كالشيطان يؤرق من ينام فى الغرفة بعد ذلك .

من رأى فى نومه حلما فرح له وابتهج ، اغتم وتشاءم فى الصباح لأنه يحدث عكس ما رأى وإذا قبض فى منامه ما لا دفع فى يقظته مالا وإذا حضر فى منامه عرسا حضر مأتما فى يقظته أى أن العكس يحدث .

صباح الأعور أو الأحول أو الأجرود — والأجرود هو الذى لا تنبت لحيته — ويقولون فى المثل « صباح القرود ولا صباح الأجرود » .

يتشاءم الناس من صياح الدجاجة كالديك فى مصر وتذبح عند سماعها ومن سمعها فى الشام يقلب الحذاء فينتفى الأذى ومنهم من يذبحها ومنهم من يقتلها قتلا ويرميها .

نعيق الغربان نذير شؤم ، والغربان الطائرة فرادى شؤم ورؤيتها عند الصباح شؤم .

يتشاءم الناس من النظر فى المرآة ليلا ويقولون إن من نظر فى المرآة ليلا أصيب بالجنون .

لا يكنس البيت ليلا ، فيعتقد الشاميون أن البركة تطير ويقول المصريون أن الكنس ليلا يجرح رؤوس الملائكة .

إذا سافر أحد أفراد المنزل فلا يكنس المنزل ولا يكسر إناء .

لا يفتح مقص ولا يخاط بإبرة وقت صلاة الجمعة .

إذا أصيبت كف اليد اليمنى بالأكلان فيترقب الشاميون أن يدفعوا مالا أو أن يخسروا شيئاً ولكن المصريين ينتظرون السلام على قادم من سفر .

إذا طنت الأذن اليمنى فانهم يترقبون سماع خبر مزعج .

إذا اختلج جفن العين اليسرى (فى التعبير العامى : العين بترف) فإنه نذير شؤم وحزن .

الملح والخبز مقدسان ، فلا يداس عليهما ومن داسهما عن غير قصد توقع بعض الشر وإذا رأى الإنسان الخبز على الأرض رفعه وقبله ووضعه فى مكان تبعد عنه المارة كأن يضعه بجانب حائط أو فوق جدار أو رماه فى الماء .

التفاؤل :

نظرا إلى شدة تفاؤل الإنسان بالخير والرضى فإنه يرى أو يحب أن يرى فى كل ما يزعجه أو يخيفه أو فى كل ما يمكن أن يؤذيه سببا أو مقدمة لخير سيناله :

إذا استيقظ إنسان من نومه وتذكر حلما آلمه أو أبكاه فإنه يستبشر ويفرح فإن عكس الحلم هو الذى يحدث .

إذا اختلج جفن العين اليمنى (بالتعبير العامى العين بترف) فإنه بشير خير وفى الشام العين اليسرى .

إذا عثر أحد على نضوة (نعل فرس) فإنه يستبشر ويعلق النضوة فوق الباب (ويعللون ذلك بأن النضوة تشبه الهلال أو لأن « الخير معقود بنواصى الخيل »)

إذا كبّت القهوة قالوا « خير » وكذلك إذا انكسر فنجان ونال أحد الحاضرين رشاش من القهوة فتلطخت ملابسه فإنهم يقولون له « ستنال خيراً » .

رؤية الهلال فى أول الشهر — أول ظهوره — فللناس فى ذلك أقوال وعادات منها أنهم يتمنون الخير ويقولون فى مصر « هل هلالك شهر مبارك » وفى الشام يقولون « يهلك و يستهلك ويجعلك علينا شهر مبارك » .

إذا أتم أحد بناء جديدا علق فوق الباب ما يرد العين الشريرة : خرقة بالية أو حذاء قديما أو يعلق ما يجلب الخير : نضوة فرس أو يرسم هلال ويرسم النصارى علامة الصليب وعند إتمام البناء ينحرون ذبيحة على عتبة المبنى .

إذا انكسر إناء يقولون « انكسر الشر » أو « خد الشر وراح » ويعتقد المصريون أن الأرض يحملها ثور على قرنه فإذا تعب هذا القرن و نقلها على الآخر فتهتز الأرض ويحدث الزلزال .

وإذا حصل خسوف القمر فنسمع الأطفال والفتيات يضربون الصفيح بالصفيح ويرددون :

يابنات الحور سيبوا القمر ينور

يابنات الجنه سيبوا القمر يتهنى

وفى تعبيرهم أن القمر « مخنوق » فيبتهلون إلى بنات الحور ليتركوا القمر(١) .

وإذا أمطرت السماء نرى أطفالنا يغنون فى نشوة من الفرح :

يانطرة شدى حبالك
زرع ابويا قدامك

وأغنية :

يانطره انطرى كبريت
والسقا ركبه عفريت

وأغنية:

يانطره رخى رخى
على قرعة بنت اختى
بنت اختى قرعه قرعه
وخدها الديب وطلع يرعى

وهذا يرجع إلى العهد الذى كانوا يصعدون فيه إلى الجبال داعين الله للاستسقاء .

وإذا رأوا نجما يطير فى السماء فانهم يقولون « سهم الله فى عدو الدين تنزل على القوم الكافرين » .

وعند سماع الرعد فإنهم يقولون « إن جمل الشتاء يعدو خلف جمل الصيف » .

(١) راجع موضوع خسوف القمر فى مصر فى كتابنا « صور من أدبنا الشعبى أو الفولكلور المصرى »

الأمثال العامية :

من المعروف أن الامثال التي يتداولها الشعب هي حكم نتيجة التجارب هذا الشعب و تسجيل لبعض مامر به من أحداث استخلص منها آثر ومواعظ ، والأمثال هي التي أجمع عليها الشعب ينطق بها الجاهل والمتعلم والفقير والغني وهي التي تجرى على ألسنة طبقات المجتمع ، فهي المعبر إذن عن اتجاهات ونواحي هذا المجتمع دون غيرها . فمما لاشك فيه أن كثيرا من الأمثال المعروفة في البلاد العربية منها ما هو خاص بالمناخ أو الزراعة أو النواحي الاجتماعية ، فمن الأمثال الخاصة بالمناخ والحياة الاجتماعية فى لبنان :

فى أيلول تمون لعيالك وخلى الهم عن بالك

حجار الصيف تنفع للشتا

برد تشارين توقاه وبرد الربيع تلقاه

برد تشارين أحد من السكين

الله يبعت البرد على قدر الكسوه

اللى ما ارتوى من حليب أمه بيرتوى من ماء تشرين

ايلول طرفه بالشتاء مبلول

بساط الصيف واسع

ويقابلها فى مصر

فى بابه خش واقفل الدرابه

فى كيهك صباحك مساك

طوبه أبو البرد والعقوبه

برد أمشير يخلى العضم ع الكوم يسير

مهما عملت يا أمشير فيك روايح من روايح الصيف

حصيرة الصيف واسعة

وإذا استطردنا فى الكتابة عن الأمثال فسيضيق بنا هذا الكتاب وإنما سنفرد لها كتابا خاصا موضوعه « وحدة الامثال العامية بين البلاد العربية » .

الموال :

وأحب الناس فى كل البلاد العربية ترديد الموال وهم يحنون إلى سماعه ويطربون له لأنه صدى أحاسيسهم وشعورهم ، غنوه فى أفراحهم وجأروا به فى حقولهم ، ودندنوا به على أنغام الساقية .

وبه يحدون ماشيتهم ويتغنون بآمالهم وينفسون عن صدورهم فهو المعيار الصحيح عندهم للأمل والألم والفرح والترح ولسائر المشاعر والأحاسيس وتراهم يجيدونه ارتجالا وتكثر فيه التورية والجناس الكامل .

وقد نظم على بن حسين المراوى الدمشقى وقد عاش قبل قرن من الزمان فى ناعورة (ساقية) حماة :

هاج الجوى بالحشا صوت النواعير

وذكرنى يوم صارت للنوى عيرى

ناديت يا مقلتى هذى النواعى رى

إن قل ماها فدمعك للنوى عيرى

وله :

الروض أضحى بدمعات النواعى رى

بساحل الجفن مع قطر النواعير

ياحسرتى حين شالت للنوى عيرى

وأوقدت فى الحشا نيران أشواقى

فقلت ياناس أحوال النواعى رى

ومن مصر هذا الموال :

سبع سواقى بينعم لم طفوا لى نار

يامنية القلب وازاى عشق الجار

يبقى النظر فى النظر والقلب قايد نار

وأيضاً :

عينى رأت جمل ماشى يرى حمله

يصغى بعينه ميلقاش حد يرى حمله
دول نخخوا الجمل مفيش ولا بكر شال حمله
هاتوا عليق الجمل للبكر ياكل فيه
وان عيط البكر هاتوا على الجمل حمله
عينى رأت جمل ماشى يرى حمله

واشتهر المصريون بوضعهم صفات عن كل بلد مصرية إما للفخر أو لتعيير أهلها فن ذلك يقولون عن الاسكندرية «كلك أحمدات يااسكندريه»، وعن محافظة الغربية «يامزفت شمروخك ياغرباوى»، وعن المنوفية «المنوفى لا يلوف ولو توكله لحم الكتوف» وعن الجيزة «بياعة الجلة ياجيزة»، وعن مصر ويقصد بها القاهرة أو يقصد بها الفسطاط فى العصور الوسطى« ياللى كلك ذوق يا مصر» ويقولون عن دمنهور «ألف نورى ولا واحد دمنهورى» وعن مدينة شبين الكوم «ياشبينى قوم غدينى واخسر دينى ما عندى عيش» وعن المحلة الكبرى وسمنود «ع المحلة منين يا سمنودى» وعن أسيوط «قالوا : أسيوطى وقرد يخربوا مدينة. قالوا : إذا اتوجد أسيوطى أصلى يبقى كفايه خرابها.

وهكذا وضعوا لكل بلد بل كل قرية نعتا خاصا بها ولو تتبعنا هذه الصفات وتعمقنا فى دراستها لاتضح لنا دراسة تاريخية أو اقتصادية أو اجتماعية للشعب المصرى.

الشتائم والردح :

يشتم الإنسان ساعة الغضب والشتيمة بمعنى الكلمة النابية الجافة التى تتناول المشتوم ويقصد منها التحقير ، والسب غير الشتم فلفظة السباب للكلام البذىء الذى يتناول عرض الرجل ودينه وعائلته ووقع السباب أشد إيلاما وأعنف إثارة للغضب والذب عن الشرف المكلوم وأثره عميق فى النفس وقد يثير أحيانا إلى درجة القتل .

أما الردح وغالبا لا يكون إلا من النساء وهو حركات خاصة باليدين تسمى « الصحن » أو هز الأكتاف أو حركة خاصة من الشفتين أو حاجب العين مع رفع اليد إلى الحاجب ورفع الحذاء مع مصاحبة ألفاظ لا تدل على شيىء مثل « ادلعدى » و « ياعمر » و « عمل عيشه » و « درزى » و « رفضى » وهذه الكلمات إنما وصلتنا من العصر الفاطمى فكلمة عمر المقصود بها سيدنا عمر بن الخطاب وهى للدلالة على تفضيل آل على بن أبى طالب على سائر الخلفاء وكذلك « عمل عيشة » فهو للإشارة إلى انسحاب السيدة عائشة فى واقعة الجمل التى كانت بين سيدنا على ومعاوية وهى أيضاً من التعبيرات الفاطمية ودرزى نسبة إلى طائفة الدروز ورفضى نسبة إلى الرافضة وهما من الفرق الاسلامية ولهما عقائد خاصة بهما . ومن الغريب أن الشعب ينطق هذه العبارات دون أن يعرف معناها .

الباب السادس

المـــوت والدفن

الموت نهاية كل إنسان فى الحياة ، انتقالهمن الدنيا إلى الآخرة ، « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا » و « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون » .

فإذا حضرت المرء الوفاة تعالى صراخ النساء وعويلهن وتجمع الناس وسرعان ما أتموا جهاز الجثة لدفنها ويقولون « كرامة الميت دفنه » فيحمل الميت فى نعش يتقدمه فقهاء يقرأون بصوت مرتفع ما يسمونه المنظومة ومطلعها « مولاى صلى دائماً أبدا » وفى لبنان يقرأون البردة للبوصيرى ومطلعها :

أمن تذكر جيران بذى سلم ... مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ويتبعهم المشيعون ثم النعش وخلفه أهل الميت يبكونه إلى أن يصلوا مكانا فى الخلاء يصلون عليه صلاة الجنازة ومن الناس من يصلون صلاة الجنازة فى أى مسجد يمرون به وبعد الصـــلاة يتابعون السير إلى أن يصلوا القبور فينزلونه مثواه الأخير ويهيلون التراب على القبر ويحكمون غلقه ويتقبل أهله عزاء المشيعين بأن

يقفوا صفا يتقدمهم أقرب الناس إلى الميت ويتقبلون عزاء الحاضرين ثم يعودون .

وإذا كان الميت من الأغنياء وذوى اليسار ذبح أهله ذبيحة عند القبر يخطوها النعش ويسمونها « الكفارة » وبعد الدفن تقطع وتفرق على الفقراء .

وكانت العادة قديماً فى القرى ساعة الوفاة يرسل أهل الميت أشخاصاً إلى القرى المجاورة ومعهم ورق كتب به نعى للمتوفى ويسلمونه لمن لهم بهم صلة قرابة أو صداقة ويسمون ذلك « بالتنجيب » ومثل هذا يحدث فى لبنان ويسمونه « النعوة » وحامل النعوة فى لبنان يسمى « الناعى » وحامل التنجيب فى مصر يسمى « النجاب » . ولكن انقرضت هذه الطريقة الآن لأن معظم الناس يحرصون على نعى موتاهم فى الصحف اليومية . ولا يزال الآن فى المدن عند الوفاة يخرج رجل يدق طبلته دقات خاصة وهو يصيح « يا عباد الله ، وحدوا الله ، فلان إلى رحمة الله » وفى دمشق ينعى الميت من فوق مآذن المساجد وفى تشييع الميت إلى قبره فى حلب يمشون أمامه وهم يجهرون بكلمة التوحيد وقد يكون فى المقدمة أيضاً من يؤذن آذان الجوق وينشد بعض المدائح النبوية وقد يمشى أمام النعش جماعة من الدراويش المولوية . وإذا كان الميت من مشايخ الطرق سواء كان فى مصر أو الشام يتقدم جماعته ويحملون نعشه ويتجاذبونه

ويتماسكون به كأنه يحاول الطيران وهم يمنعونه عنه وينادونه باسمه ويضرعون إليه بأن يعدل عن الطيران وحملة أعلام الطريقة يفعلون بأعلامهم مثل حملة النعش به فيركضون بها إيهاما بأنها تجرهم وتحاول أن تطير بهم إلى غير ذلك من الحركات التى ينكرها الشرع .

بعد العودة من القبر يجتمع أهل الميت فى سرادق يقيمونه لتقبل العزاء وحيث يحضر إليهم الناس لمواساتهم فى فقيدهم ويستمعون لقراءة القرآن ،هذا فى المدن وينتهى آخر الليل ويسمون ذلك « الفرش » .

أما فى القرى فإن الفرش لا يكون فى سرادق يقام ولكن فى بيوت أعدت لهذا الغرض وجهزت بالأثاث اللازم وفى العادة يستمر الفرش ثلاث ليال فى هذا المكان ويسمونه « الدوار » ويسمع القرآن فى هذه الليالى الثلاث ويحضر المعزون من أهل القرية والقرى المجاورة حيث يؤدون واجب العزاء ويعودون، وأما فى دمشق وحلب فإنهم يتقبلون العزاء فى الميت وينصتون إلى سماع القرآن لا فى الدوار ولا فى السرادق ولكن فى مسجد الحى أو القرية .

ومن الملاحظ فى مصر أن مدة أيام الوفاة (الفرش) يحضر طعام المعزين للرجال والنساء من منازل أقارب المتوفى ومنازل

أصدقاء العائلة تحمل على صوان فى الصباح وفى الظهر وفى العشاء ، ولا يتكلف أهل الميت إلا إطعام الفقهاء . وهذا مظهر من مظاهر التعاون والمشاركة فى مثل هذه الحالات . ونلاحظ أيضاً أن الرجال يهجرون منازلهم فلا ينامون فيها مدة الحداد التى تمتد إلى الخميس الكبير وهو ثانى خميس بعد الوفاة أو لبعد الأربعين وأيضا يتركون لحاهم ولا يقصون شعرهم . وإذا كان الميت متيسر الحال استأجر أهله فقهاء يقرأون له مايسمى «بالعتاقة» وهى سورة «قل هو الله أحد» تقرأ ألف ألف مرة ويعدون على سبحة ذات حب كبير ويبلغ عدد حباتها خمسمائة حبة ويشترك فى قراءتها حوالى عشر فقهاء أو عشرين ويقضون ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة . ويقدم لهم آل الميت الطعام والشراب . وهذه الظاهرة تظهر بوضوح فى القرى .

وأما ما يفعله النساء فإنه عند خروج الروح فإنهن يصرخن ويولولن ويندبن ويشققن الثيابَ وهذه العادة كانت شائعة عند قدماء المصريين وتلدمن الصدور وبأيديهن مناديل يشلشلن بها على الجثة ويصبغن وجوههن بصبغة النيلة أو يتمرغن فى التراب والطين ، وقد يستأجرن ندابات للعديد والندب . والعديد ليس له وزن كما للندب وليس له نغم خاص كما للندب ، والعديد ساذج بسيط تكثر فيه المباهاة والمبالغات مثل ما يقال فى لبنان «يابىّ اليتامى وياطاعم الفقراء وملبس العرايا» وربما يكون بخيلا لم يتصدق فى حياته . ونسمع فى مصر :

يا مقدمين يا تقيل   يا بو السبع مناديل
يا رب ما يكون هوه   ولا الخبر ده يجينا

ومثل :

يا مقدمين يا آتى   يا بو السبع بدلات
يارب ما يكون هوه   ولا الخبر ده يآتى

ومثل :

الست فى الحمام   بتغسل راسها
طب عليها الموت   حاسها وداسها

ومثل :

يا مه خطفنى حابك شماراته
خدنى دبيحه عازم رفاقاته
يا مه خطفنى حابك مناديله
خدنى دبيحه عازم رفاقاته
يا مه خطفنى الطير برياشه
وابو ياع الديوان ما حاشه

ومثل — ويقال عند زيارة المقبرة :

بين الحجارة البيض ياعينى عليكم ياللى نمتم
بين الحجارة البيض لا فم بيتكلم ولا سلام بالإيد

ومثل فى بكاء الأم :

دعت عليّ وشعرها محلول
وكان دعاها فى السما مقبول
دعت على وشعرها سايب

وكان دعاها فى السما جايب
على القبر واشكى والنبى ياامه
متقوليش على انا مانش فى الدنيا ريح تلومينى
سرى وسرك فى قدح فخار
وانكسر القدح وانفكت الأسرار

وفى لبنان :

قوم يا عنتر زمانك
طالب البيدا حصانك
كل صاحب راى يمرق
تحت فية خيزرانك
مرقت رجال الوقيعه
تحت الرايات الرفيعه
مدّتو طلعت سريعه
والدهر خوان خانك

ومثل :

انفتح سوق المنايا
وانفقد صربة صبايا
متل تريا فى سرايا
يا عروس طالبينك

والصبـايا عايزينـك
بالميـازين زاينينـك
ست على كل الصبايا

دموعـكم لا تحجبوها   من المحاجر اسكبوها
. واتركوا الزهره اللطيفه   الباكيه تودع ابوها

ومثل :

غيبتك غيبه طويله   ضاق حكم العبد منا
قلوبنا صارت ذليـله   بس وجّك غاب عنا
يا دموع العين سيلى   غاب كوكب من وطنا
وما بقى باليد حيله   الموت ع المقتل طعنا

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة



طبع الغلاف
بمؤسسة طباعة الألوان المتحدة